الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعـــة أدرار

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

تعليمية النّحو بزاوية الشيخ محمد بن الكبير

–أدرار–

بحث مقدم لنيل شهادة الماستر تخصص تعليمية اللغة العربية

إعداد الطالب :

عبد الحميد عبد الغاني

إشراف :

د. الصديق حاج أحمد

السنة الجامعية : 1434–1435هـ / 2013–2014م

إهداءٌ

إلى أبي الطُّود الشامخ في مكافحة الاهوال وإلى أمّي القلب العامر بالخوف والرجاء، إليكما أيُّها القنديلان الصُّوفيان اللذان بدَّدا ظلمة الحزن في زمنٍ كنت فيه بحاجة إلى أنيسٍ . أهدي عملي ، أطال الله عمركما بعملٍ حسنٍ مقبولٍ.

عبد الحميد

شكروعرفان

اللَّهم إنّي أشكرك شكرَ عبد معترفٍ بالجميل وبالجليل، والشكر مني موصولٌ إلى الدكتور الصديق حاج أحمد الذي لمست فيه رفعةَ المتواضعِ ، ووفرة العلمِ ،ودقة الملاحظةِ ،ولكل الأسرةِ الجامعية ، والشكر منّي موصولٌ إلى العائلة الكريمة المبعوث لها بأكاليلَ من المودة والاحترام ، ولمعلمي وطلبة زاوية الشيخ محمد ابن الكبير . لابدَّ أن أوصل سلامي إلى كلِّ إنسانٍ تعامل بصدق وبنيةٍ معي ، فللكلّ مني أجمل سلام وأصدق تحية .....عبد الحميد

مقدمة

مقدمة :

إنَّ اللغةَ العربيةَ كانت ولا تزال البوتقةَ التي تحملُ الإرثَ والفكر الإنساني بمختلف عصوره . ولما اختلطَ العرب بالأعاجم غير الناطقين بها ، دخل اللَّحنُ العلةُ المزمنةُ لجسم تلك اللُّغة . فتنبه لها أربابُها وعلماؤها الأجلاء،واضعين شروحاً ،ومؤلفاتٍ ،وحواشيَ حاملةً معها القواعد والضوابط الحافظة للسان من الزيغ ،تسمى "النحو" ،بمعنى الوجهةُ التي يجب المرور فيها لأجل لغة ناصعة وصحيحة ،لها دلالاتها ضمن سياقاتها النظمية . أي أنْ يوضع الكلام كيفَ ما يقتضيه علمُ النحو وقد جاءت المؤلفاتُ بمناهجَ عديدةٍ ومختلفة، باختلاف العمق الفكري لدى كل واحدٍ من العلماء.

ومما لاشك فيه أنَّ الدّرس النّحوي لا ينبغي أنْ يكون مقصوراً على النظري منه ،ويغفل الجانب التطبيقي . والغني عن التعريف أنَّ دروس النَّحو وحدها لا تؤدي إلى إتقان ومعرفة اللُّغة وفهمها فهماً صحيحاً، وإنَّما هو التمرين .

جميلٌ أن تُطرحَ قضية تعليمية النَّحو العربي على بساط المناقشة، وأنْ تتداولها الأقلام المختصة على اختلاف آرائها،ففي ذلك ما يساعد على جلاء موقعِ العربية ،ونحوها في أذهان الناس، بعد أنْ شابتْ هذا الموقع سحبٌ من الغموض واللغط والتشويه. ولقد كان النَّحو دوماً كبش فداءٍ للحملات التي تقام عليه .والغرض كلُّ كالغرض من تدريس النَّحو، هو تكوين الملكة اللسانية الصحيحة ، لا حفظ القواعد مجردة . فعنترة العبسي لم يكن يعرف ما الحال وما التمييز.لكنه جاء بعبقرية شعرية بهر بها العالمين.

وسعياً منّي إلى إبراز الجهد الذي تقوم به بعض المؤسسات المسجدية الحكومية منها وغيرها بولاية أدرار ، في خدمة اللُّغة العربية وعلومها انطلاقاً من القرآن الكريم ، اخترت زاويةَ الشيخ محمد ابن الكبير ؛ الزاوية العريقة التي برزت في منتصف القرن الماضي مركزاً علمياً إشعاعياً،له مكانته في سدة العلم الديني خاصة. وحاولت من خلال ذلك،إبراز الجهود التي قام بها الشيخ محمد ابن الكبير رحمه الله،وما يقوم به تلامذته في مجال تعليم النحو العربي. بمذكرةِ تخرجٍ عنونت بـ" تعليمية النحو العربي بزاوية الشيخ محمد ابن الكبير"

اخترت الموضوع لتحقيق أهداف منها:

1- إبراز الجانب العلمي للزاوية ، فأغلب الدراسات والبحوث التي تمت عليها كانت في التعريف بمؤسسها الشيخ العالم محمد ابن الكبير ؟

2 - محاولة توضيح الصورة لبعض أصحاب الدعايات المغرضة ،في أنَّ الزاوية طُرقية تهتم بالصوفية أكثر من أيّ شيء.

في بداية الأمر حقيقةً كان في تصور الموضوع نوعٌ من عدم الوضوح لأسباب عدة ، وبعد البحث والتقصي انطلقت في البحث من تساؤلات :

- إلى أين وصل تعليم النَّحو العربي في الزاوية ؟.
- ما واقع المناهج والأسس المتبعة في تعليم النحو ؟.
- ما مدى انسجام وتوافق مناهج تعليم النحو بالزاوية بالمناهج الأكاديمية الجامعية ؟

وفي ظل تلك التساؤلات والتصورات المقترحة ، انبثقت إشكالية مفادها "كيف تشكلت تعليميةُ النحو العربي بزاوية الشيخ ابن الكبير .؟"

ولتحقيق تلك الأهداف والإجابة على الإشكالية، وضعتُ خطةً متمثلة في مدخل وفصلين ، تكلمت في المدخل عن الإسهام والحراك الثقافي للإقليم التواتي من القرن التاسع حتى الرابع عشر الهجري،أي من الخامس عشر إلى العشرين للميلاد.أمَّا الفصل الأول كان عن زاوية الشيخ ابن الكبير ومنهجها في تعليم النحو . وتضمن مبحثين ، الأول منهما تحدثت فيه عن النظام التعليمي العام بالزاوية . والثاني كان عن نظام الدرس النحوي اللُّغوي بالزاوية . عنونتُ الفصل الثاني التطبيقي في هذا البحث بـ : الدراسة الميدانية لحلق النحو بالزاوية .وتضمن هو الآخر مبحثين ، الأول منهما واقع الطالب مع النَّحو العربي في زاوية ابن الكبير ، والثاني منهما طريقة تسيير الحلقة النحوية بالزاوية .

إنَّ خصوصية الموضوع تحتاج إلى المنهج التحليلي الوصفي الذي يستغرق أدق التفاصيل بالاعتماد على المشاهدة والاستنتاج .والمنهج التاريخي المعتمد في دراسة وترجمة حياة الشيخ محمد ابن الكبير .

ساعدتني ووجهتني في تكملة هذا البحث مجموعةٌ من المصادر والمراجع ،رغم قلتها ونضوب المادة العلمية المرجوة فيها، في صدور الرجال الذين درسوا على يد الشيخ محمد ابن الكبير .

- دعائم النهضة الجزائرية ،التعليم الديني والإصلاح الديني لمحمد الطاهر فضلاء .
- تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله.
- التاريخ الثقافي لإقليم توات للأستاذ الصديق حاج أحمد.
- إحياء النحو لإبراهيم مصطفى.
- في النحو العربي نقد وتوجيه لمهدي المخزومي .
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمحمد صادق الرافعي .

واستعنت كذلك ببعض المجلات والملتقيات منها :

- مجلة الآداب والعلوم الإنسانية الصادرة عن جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية 2005
- أعمال ندوة تيسير النحو ، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ، أفريل 2011.

لقد كان للزيارات الميدانية والاستبيانات الموجهة للمشائخ والطلبة النفع الكبير عليَّ، في معرفة الواقع التعليمي التعلمي . وواجهتني في ذلك حقيقةً صعوباتٍ منها :

– صعوبة التنقل بين بعض زوايا المنطقة – مع ما يتطلبه التنقل من وقت –لوضع أوجه الشبه والاختلاف بينها.لأنَّه لا يمكن دراسة زاوية لوحدها دون أخد الصورة الإجمالية العامة ، والشيء الذي وجدته هو التشابه الكبير لنظام التعليم في كل الزوايا التي زرتها ،سوى بعض الاختلافات الطفيفة .

– ندرةُ المراجع على النظام التعليمي بزاوية ابن الكبير، إلا ما هو كترجمة لحياة الشيخ رحمه الله.

– احتياج الموضوع لشيء من الصبر والتأني من أجل استنتاج كنهَ وطبيعةَ التعليم، لأن المتفحص لأول وهلة يظنه نظاماً جامداً غير قابل للتجديد .

واللهَ نسأل الإعانة والتوفيق

مدخل

مدخل :

-الإسهام والحراك الثقافي لمنطقة توات من القرن 09هـ إلى 14هـ /15 م إلى 20م

"توات"، هو ذلك الإقليمُ الذي لجأ إليه العلماء والزُّهاد منذ القديم؛ فراراً بدينهم حيث الأمن والأمان. فثارت قرائحُهم بالعلوم الدينية واللغوية ،منافسين بذلك أندادَهم المشارقة.

وأصل تسمية "توات " واغلٌ في التاريخ ضاربٌ في القدم ، واختلافُ المؤرخين خيرُ دليلٍ على ذلك ،مع أنَّ اختلافَهم لم يكن في أنَّ البربرَ هم أول من سكنَ" توات". بعد ذلك اِنتقل إليها العربُ مع الفتح الإسلامي أفواجاً وأسراباً. ولقد اضطربتِ الرواياتُ في أصل تسمية هذا الإقليمِ، والأصلُ الرَّاجحُ عند أكثر الدارسين مفاده أنَّ "توات" تعني المكانَ المنخفض [1].

يقع الإقليمُ في الجنوب الغربي للجزائر. يحدُّه شمالاً العرقُ الغربي الكبير وواد أمقيدن. وتحدُّه جنوباً صحراءُ تنزوفت .كما يحدهُ شرقاً العرق الشرقي الكبير.أمَّا غرباً فيحدُّه واد الساورة. ينقسم الإقليمُ لمناطقٍ ثلاثٍ : قورارة أو تنجورارين ، توات الوسْطى ، تدكلت التي تضم منطقة عين صالح ورقان .

مع انهيار دولةُ الموحدين في مطلع القرن السابع الهجري، وبعد انقسام المغرب الإسلاميّ إلى ثلاثِ دويلاتٍ، الحفصيين بتونس ، وبنو زيان بتلمسان ، وبني مرين بفاس المغربية – دون أنْ ننسى أنَّ عصر هذه الدويلات كان مسرحاً للتنافس على السلطة ،خاصةً ومع سقوط آخر ِحصنٍ للمسلمين بالأندلس ،زادت شهوةُ الأسبان لاحتلال بلدان المغرب الإسلاميِّ. أيْ أنَّ الوضعَ السياسيَ والاجتماعي لم يكن الجوَ الهادئَ لممارسة الحياة الطبيعية، فلجأت الكثيرُ من القبائل إلى الصحراء . كما أنَّ القرنَ التاسعَ الهجريَّ أقلُّ ما يقال عنه ،أنَّه عصرُ ظهور الزوايا والتصوف[2]. وقد ذكر العديد من المهتمين بتاريخِ المنطقة بأنَّ خلقٌ كثيرٌ من العلماء توافَد على تمنطيط بولاية أدرار ،ففي نهاية القرن الخامس عشر الميلادي نزل بها محمد بن عبد الكريم المغيلي(882هـ) ،العالم الجليل صاحب اليد الطولى في كثير من العلوم . وعمر بن محمد الباز .المتوفى في (901هـ) الذي يعدُّ أولَّ من قرأ صحيح البخاري في رمضان [3].

وإذا حاولنا أنْ نبين دور المراكز العلمية التواتية، لابدَّ أنْ نذكرَ كلَّ إقليمٍ وأهمَّ الشخصياتِ العلمية البارزة فيه:[1]

1 : **مراكز قورارة:** تيميمون حالياً ، فيه العديدُ من المناطق التي اشتهرت بدورها الرياديّ العلميّ ؛كمركز أولاد سعيد ، مركز أوقروت والمطارفة . أهمُّ شخصية علميةٍ بارزةٍ فيه سيدي الحاج بلقاسم. والعالم عمر بن صالح الوقروتي ؛ ولي صالح تقام له زيارةٌ موسميةٌ ببلدية أوقروت .

---

[1]- ينظر الصديق حاج أحمد ، التاريخ الثقافي لإقليم توات، دار الثقافة ، أدرار، ط1 ،2003، ص26-27-28

[2]- أبو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ،طبعة خاصة،ج1،2007 ، ص262

[3]- ينظر الصديق حاج أحمد ، التاريخ الثقافي لإقليم توات، المرجع السابق ، ص53

[1]- ينظر الصديق حاج احمد ، التاريخ الثقافي لإقليم توات، دار الثقافة ، أدرار، ط1 ،2003، ص61 ومابعدها

2:مراكز توات الوسطى : يضم رقعةً جغرافيةً واسعة جداً ،تمنطيط ،تنيلان ،كوسام وأنزجمير مروراً بأدرار وسالي . ولقد برز فيه العديد من العلماء الأجلاء الذين قدَّموا إسهاماً علمياً منقطع النظير . أمثال الشيخ العلامة أحمد ديدي (1879م-1952م)[2] ، والعلامة عبد الرحمان بن عمر التنيلاني ، العلامة الشيخ أحمد الرقاد ، العلامة الشيخ أحمد الطاهري الإدريسي الحسني(1325هـ-1399هـ) ، والشيخ العلامة محمد ابن الكبير طيب الله ثراه.

3:مراكز تدكلت:

أهم شخصيةٍ علميةٍ اشتهرت في هذه المنطقة، العالم محمد بن عبد الرحمان بن أبي نعامة العقباوي (1060هـ-1163هـ) [3]، والعالم عبد الله بن أحمد الفلاني ،إضافة إلى الشيخ محمد بن عبد القادر بلعالم القبلاوي.

-المخطوطات التواتية من القرن 09هـ إلى 14هـ / لـ15 م إلى 20 م

يعتبر الإقليمُ التواتيُّ بما يحتويه من عشرات الخزائن وآلاف المخطوطات؛ الخزان الحقيقي للتراث المخطوط في الجزائر عامةً .بالإضافة إلى عشرات النسخ التواتية المتواجدة في مالي وموريتانيا ، النيجر وغانا . ولقد ضاع الكثير من هذا التراث بفعل الطبيعةِ القاسيةِ، أو بفعل الإنسان نفسه . هذه الكتب والمخطوطات معظمها ظلَّ محتفظٌ بها تحت كنف عائلاتٍ توارثت العلمَ أباً عن جدّ ، أو عن طريق التوريث[1]. يقول أبو القاسم سعد الله "...الغالبُ أنَّ الزوايا هي التي كانت ترعى المكتبات لاتصالها بالدّين والعلم ، وقد عُرفت منذ القدم بأنَّها سوقٌ رائجةٌ للكتب ، وأنَّ بعض عائلاتها الدينية قد كونت مكتباتٍ معتبرة..."[2] . وتعد المخطوطةُ أو الكتاب المخطوط؛أداةً هامةً من الأدوات التعليمية التي ساعدت الطُّلاب على التحصيل في المدارس والزوايا . والشيء الذي يمكن ملاحظته أنَّ مكتبات وخزائن المخطوطات التواتية هي :

1- مكتبات خاصة شخصية، تستخدم إلاَّ من قبل أصحابها .

2- مكتبات عامة بإمكان أيُّ شخص الوصول إليها ويطلع على ما فيها ، وفي العادة تكون ملحقة بالزوايا .

ونستطيع أنْ نعرّج على أهمِّ المكتبات والخزائن المتواجدة حسب تقسيم الأقاليم :

* **خزائن منطقة (قورارة بتيميون)**: توجد بها بعض خزائنُ كثيرة كخزانة المطارفة ، خزانة زاوية سيدي الحاج بلقاسم بتيميمون ، خزانة تينركوك وخزانة زاوية الدباغ .إلاَّ أنَّ أهم خزانة في هذا الإقليم، بالمطارفة تحت رعاية عائلة بن عبد الكبير[3] ،وتحوي كتباً أهمها:

×- شرحُ الملويِّ على ألفية ابن مالك للملوي .

---

[2]- ينظر عبد الحميد بكري ، النبذة في تاريخ توات وأعلامها ، مطبعة دار الهدى، الجزائر ،ط1،2005، ص175

[3]- ينظر الصديق حاج احمد ، التاريخ الثقافي لإقليم توات، المرجع السابق ، ص134

[1]- ينظر محمد الصالح حوتيه ، توات والأزواد ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،(د م ن) (د ط)، ج1 (د ت)، ص300

[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي دار الغرب الإسلامي،لبنان بيروت ط1،ج5،1998 ،ص371

[3]- تقع الخزانة في قصر المطارفة ببلدية المطارفة ، زرت المكتبة في شهر ديسمبر 2013، وهي تحوي كتباً هامة في تاريخ المنطقة .

×- نوازلُ الحطاب على مختصرِ خليل.

×- تفسيرُ القرآن لابن عطيةَ.

×- شجرةُ الأصولِ في نسبِ وأبناء الرسولِ لـ : علي حشلاف الجلفاوي .

×- الميارةُ الكبرى لابن عاشر .

.2- خزائن منطقة توات :

*الخزانةُ البكريةُ بتمنطيط: من أقدم وأغنى المكتبات ، أسَّسها الشيخُ سيدي ميمون بن عمر(ت 890هـ) .

*خزانة كوسام : ويرجعُ سطوع نجم كوسام إلى العلامةِ عبد الله بن أحمد الحبيب البلبالي (ت 1934 م). فأضحتْ مركزاً إشعاعياً بامتياز . وهي اليوم أشهرُ المكتبات تحت رعايةِ السيد الطيب شاري.

*خزانة زاوية سيدي حيدة ببودة ، توجد بقصر بودة السفلانية ، والغالبُ أنَّ موضوعاتِ هذه الخزانة حول الشريعة الإسلامية ، اللُّغة والنّحو.

3- خزائن منطقة تيديكلت : وهي من أخصبِ وأثرى المخطوطات بولاية أدرار.

*خزانة الفُلانيين بقصر ساهل بأقبلي:تشمل هذه الخزانة مئاتِ المخطوطات ،منها ما هو بخطّ الجد الأعلى للفلانيين محمد بن مالك بن أبي بكر بن أيوب[1].

*خزانة قصر المنصور بأقبلي أيضاً .

* خزانةُ الشيخ محمد باي بلعالم بأولف رحمه الله ، مكتبة جمعها الشيخ محاولاً لمَّ أكبرَ قدرٍ من المخطوطات قصد الحفاظ عليها وصيانتها . ومما جمعه :

- روضةُ النسرين في مسائلِ التّمرين (اللغة).

- البُّرد الموشى في قطع المطاعم والرشا، للشيخ المختار الكنتي ، وهو كتاب في السّيرة النبويةِ والتاريخ.

وكلُّ هذه المخطوطات التي جمعها الشيخ باي رحمه الله ، هي في كنف الزاويةِ التي أسّسها في مدينة أولف. بعد أنْ كانت المخطوطات الإسلامية وغيرها في غرب إفريقيا ضحية النسيان ، السرقة والتهجير، تمَّ اكتشاف آلاف المخطوطات الموجودة في يد بعض العائلات ، ولتلك المخطوطات أهميةٌ كبيرةٌ لأنَّها تحوي زخماً من العلوم الفقهيةِ والفلكيةِ .ولأجلِ حمايةِ ودراسةِ التراث المخطوط دراسةً حقيقية أكاديمية هناك معايير موجزة في[1]:

-التحققُ من صحة عنوانِ المخطوط،أو اسمِ واضعِه بالطريقةِ العلميةِ .

-وقوفُ المحقّق على اسمِ المؤلفِ وتحديدِ شخصيتِه.

-عملُ دراسةٍ تقويمية للمخطوط تبين : مادتَه ،المنهجَ المتبع ، مزاياهُ وعيوبَهُ ، قيمتَهُ العلميةِ .

---

[1] - محمد باي بلعالم ، قبيلة فلان في الماضي والحاضر وما لها من العلم والمعرفة والمآثر، دار هومه، الجزائر،(د ط) ،2004م،ص338

[1]-الدباغ محمد ، أهمية الجانب الدراسي في تحقيق المخطوط ،أعمال الملتقى الدولي الأول حول المخطوطات في غرب إفريقيا، الجامعة الإفريقية أحمد دراية، أدرار ،ديسمبر 2013، ص 11

ولقد مرَّت المخطوطاتُ وتواجدُها بتوات بمراحل[2]:

01- جلبُ الأعدادِ الكبيرة من المخطوطات ابتداءً من القرن العاشر الميلادي إلى منتصف القرن 13م ، وتتميز مخطوطاتُ هذه المرحلة بقدمِها وكثرةِ هوامشِها، واستعمالِها للحبر الأسود والأحمر، إضافة لبروز الخط الكوفي والنسخي كنموذجٍ يحتذى به من بينِ الخطوطِ العربية .

02- مرحلةُ النَّسخ وإعادة الكتابة باستعمال الصَّمغ .وامتدَّت هذه الفترةُ من منتصف القرن 15م إلى 19م.

إنَّ "توات" لن تكن بمنأى عمن حولها من الأقاليم سواءً سياسياً ، ثقافياً وحتى اقتصادياً.ولقد سمح للإقليم موقُعه الاستراتيجيُّ والمحوريُّ أنْ يؤثّر ويتأثر بقوافلِ التُّجار والحجيج .

تميزت العلاقات بين "توات" والعديدِ من المناطق العلمية في القطر الجزائري بالمتانة، بسبب الرَّحلات العلمية المثبتةُ[3] بأدلّتها في بعض المخطوطات.

إنَّ التّطورَ الجيّد لهذا النّشاط الثقافي والفكري الظاهر في الإقليم يعود بالأساس إلى :

01- بعدُ المنطقة عن الصّراعات السياسية وتميزها بالهدوء، ما جعل "توات" ملجأً للكثير من العلماء .

02- انتشارُ الزّوايا الخيريةِ التّعليمية وجمعُ شيوخِها بين العلمِ والعمل .

يعدُّ الشعرُ أحدَ الفنونِ القديمة إذْ كان عند العرب ركيزةً أساسيةً في صيرورةِ حياتهم الأدبيةِ . وفي تصوير حركتِهم السياسية والاجتماعية. وكانت "توات"وبفضل ما توارد عليها من علماءِ المغربِ والمشرقِ تعيشُ جلَّ أطيافَ الشّعر المعروفة في عديد المناطق. دون نسيان مرورَ الاستعمار الفرنسي بالمنطقة وتخريبه للكثير من خيراتها . وضياع العديد من الإرث الثقافي الشعري . ومن الفنون التي كتب فيها التواتيون ، المدحِ ، الرثاءِ ، التوسلِ والغزلِ

المدح : وأروع ما وجدتُ فيه قصيدةً أكثرُ الظنّ أنَّها للشيخ عبد الكريم المغيلي يقول فيها مادحاً سيد الأنام وخير البرية من بحر البسيط:[1]

زُرْ من هويتَ ولا تصبُو لمن عدلاَ على هواه، وسُق لرَبعه الإبلا
وحيّ مني حبيباً طال ما فتحتْ مفاتحُ العلمِ منه للسُّهى سبُلا
وقلْ لهم إنّ قلبي مُذْ هويْتُهمُ ، مازال في حُبهم في الله مُشتعلا

ومن النتف المدحية أيضا قول الشيخ عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمان مادحاً العالم الفاضل والزاهد الناسك سيدي عبد الله بن محمد بن عبد الكريم الحاجب من البسيط [2] :

كيفَ اصطباري على خلٍ شُغفتُ به قد كان بالفضل والتقوى قدِ اتَّصفا
فلا العويلُ يـردُّه إليّ ولا بالصبر يرجع ذا الجَوى الذي أسفا
نـال المعاليَ والعلومَ أفضلَها ، فقهاً ونحواً وتفسيراً بـه تَحفا

---

[2]- ينظر محمد الصالح حوتيه ، توات والأزواد ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،(د م ن) (د ط)، ج1 (د ت)، ص310

[3]- عبد الحميد بكري ، النبذة في تاريخ توات وأعلامها ، مطبعة دار الهدى، الجزائر ،ط1،2005، ض57

[1]-[2]- عبد الحميد بكري ، النبذة في تاريخ توات وأعلامها ، مطبعة دار الهدى، الجزائر ،ط1،2005، ص134

التوسل : وهو من الفنون الشعرية المنتشرة ،لكنه توسلٌ بالمصطفى صلى الله عليه وسلم، وبالعلماء الصالحين الأقطاب وذكر كراماتِهم وعرضُ شيءٍ من إخبارهم وأحوالهم. حتَّى أنَّ العديدَ من القصائد الغزلية تبدأ بمقدمةٍ مدحيةٍ للرَّسول صلى الله عليه وسلم .

من ذلك قول الشيخ سيدي عبد الكريم بن أمحمد والدُ الشيخ سيدي البكري مادحاً الرسول عليه السلام ومتوسلا بالصحابة[1] :

بحمد الإله والصَّلاةِ على النبي محمدٍ المختارِ بدءُ قصيدتي

ومزنُ الرِّضا على الصحابة كلّهمُ عُموماً وبالخصوصِ أهلُ المزيّةِ

وقوله أيضا [2]:

إذا نُشرتْ موازنُ القسط للورَى فوَا حسرتى إنْ كان وزنيَ ناقصا

فلا أملٌ يُنجِي، ولا عملٌ يُرى من الكدَراتِ والشوائبِ خالصَا

ويا سيّدي، يا مصطفاه شفاعةً وصُرتُ مِن جرمي برجليَ داحصا

عليك الصَّلاةُ والسَّلامُ مكملٌ يدومانِ مادامَ الرّجالُ لشاخصا

الحكمة : عرف هذا الباب وانتشر كثيراً في "توات" لماله من قيمةٍ علميةٍ وخُلُقيةٍ،من ذلك قول الشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمان بن الطيب[3] :

فكُنْ صموتاً ولا تُكثر مُكالمةً فالصَّمتُ نورٌ مبينٌ رامَهُ سعِدا

ولا تهِجْ عاقلاً إنْ رُمْتَ عافيةً ولا تُصاحِبْ أخا فسقٍ بلِ اتئِدا

قد تأكَّد لنا وبصورة واضحةٍ أنَّ إسهامَ الإقليمِ التواتيّ في الحركة العلمية الدينيةِ منها واللُّغوية . كان بسببِ هدوءِ المنطقةِ وبُعدِها على العموم عن التوترات السياسيةِ . رغم عمومِها في عدةِ مناطق أخرى .

1،2،3- عبد الحميد بكري ، النبذة في تاريخ توات وأعلامها ، مطبعة دار الهدى، الجزائر ،ط1،2005، ص135

الفصل الأول

الفصل الأول: زاوية الشيخ ابن الكبير، ومنهجها في تعليم النحو.

المبحث الأول : النظام التعليمي العام بزاوية الشيخ ابن الكبير.

يشكلُ الإقليمُ التواتيُّ على امتداد تاريخه الطويل والمليء بالأحداث أحدَ أهم مناطق الزوايا والكتاتيب القرآنية. ولابدَّ لنا أنْ نمرَّ على الاشتقاق اللُّغوي ، والمفهومِ الاصطلاحي للزاوية .

أ– الاشتقاق اللُّغوي للزاوية : جاء في كتاب محمد مرتضى السيد "تاج العروس" من فصل الزاي وباب (الواو والياء) أنَّ الزاويةَ من البيت ركنَه ،وفاعلُه من زوَى يزوِي إذا جَمَعَ وضَمَّ ولمَّ ، أمَّا الجمعُ فعلى زَوايا ، و(تزوَّى) الرجل و(زوَى) إذا صار فيها [1] ، وكلُّ هذه المعاني والتخريجات لها دلالةُ اللَّمِ والجمعِ .

وجاء في كتاب "مختار الصحاح" لمحمد بن أبي بكر الرازي ،كثيرٌ من المعاني لا تختلفُ عن المعاني السابقةِ[2]، إلا أنَّه اهتمَّ بالجانب الثاني من تفسير صاحب كتاب "تاج العروس"، فيقول في مادة (زوَى) من باب الزاي "أنَّ (الزاويةَ) واحدةُ الزوايا ، و(زوَى) الشئ يزوِيهِ (زيّاً)جَمَعه وقَبَضَه .. (وانْزوَتْ) الجِلدةُ من النّار اجتمعت وتقبَّضتْ ..و(زَوى) الرجلُ مابين عينيه ، و(زوى) المالَ عن وارثه ". المعنى في الأمثلة كلِّها لهُ دلالةُ العزلةِ والانقباضِ .

ب– المفهومُ الاصطلاحيُّ : الزاويةُ في الاصطلاح مركزٌ لتحفيظ القرآن ، وتعليم أصولِ الدين . تكون في الغالب ذي نظامٍ داخليّ إقاميّ ، يتولى تصريفَ أمورِها شيخُها ومؤسسُها أو أحدُ أعيانِ العائلة . يقول الأستاذ محمد الطّاهر فضلاء في تعريف الزّاوية من خلال المدلول والاشتقاق اللُّغوي "إنَّ الزاويةَ ولفظَها يحملُ معنى من معاني الانزواء والانقطاع للعبادة أولاً وفي بادئ أمرها ، ثم لتحفيظِ القرآنِ في مرحلتها الثانية ، ثم لتلقين مبادئ العلومِ الدينيةِ .التي تؤهل الطَّالبَ لأنْ يكون فقيهاً في الدّين ،عارفاً بما ينبغي معرفتُه من أصول وفروع الشّريعة"[3] .

إنَّ المفهومَ الاصطلاحيَّ لا يُستمدُّ إلاَّ من الاشتقاق اللُّغوي بوجود شيئين:

01– عمليةُ الجَمع والضم التي تلعبهما الزَّوايا بخصوص الطَّلبة وعابري السبيل .

02 – اعتناؤُها بشؤونها وتصريفها لأمورِها لوحدِها، دونَ الحاجةِ إلى رعايةٍ رسميةٍ مؤسساتيةٍ.

فالزّاوية وفي إطار الاشتقاق اللُّغوي والمفهومِ الاصطلاحيّ، انقطاعٌ للعلم والعبادة، وإنْ تعدَّدت أدوارُها الاجتماعية والثقافية .

نشأتها:كان المسجدُ منارةَ العلمِ منذُ العصرِ الإسلاميّ الأولِ في حياةِ الرَّسول صلى الله عليه وسلم .وهذا النشاطُ المسجديُّ في بدايةِ الحالِ كان يؤسَّس على تعليم أمور الدّين وتذكيرِ النّاس بالآخرة [1]. والمسجدُ قد حافظَ

---

[1]– محمد مرتضى السيد ، تاج العروس ، دار صادر (د ط)، (د ت) ، م10، ص 166

[2]– ينظر محمد بن أبي بكر الرازي ، مختار الصحاح ، دار الحديث، مصر ،(د ط)،(د ت)،ص 279

[3] – محمد الطاهر فضلاء ، دعائم النهضة الوطنية الجزائرية ، التعليم الديني والإصلاح الديني،دار البعث،قسنطينة ط1،1984م،ص29

[1]– محمد منير مرسي ، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ، القاهرة، عالم الكتب (د ط) ،2003م ،ص285

[2] – شوقي أبو خليل ،الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقات، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، دمشق سوريا (د ط)، 2002م 453

على مكانتهِ التعليميةِ عبر العصور الثّلاثة اللاّحقة بعد فترةِ حياة الرسول صلّى الله عليه وسلم ، ومع اختلاف عقليةِ الحكماء . إذ صار المسجدُ كالجامعة من حيثُ كثرة الحلقات والمناقشات[2] . وأصلُ نشاة الزوايا كان في عصر المرابطين[3] ، لماّ عرف التّعليم وِجهةً أخرى وهي توجيهُهُ لخدمة الدّين ، ولم تكن تلك الوِجهة جديدةً على المسلمين وإنّما تُركز عليها في عصر الرباطات لماَ عرفه المغربُ من توتراتٍ سياسيةٍ .

لقد ازدهرتْ الزّوايا في غرب إفريقيا خاصةً ، فاهتمَّ الأمراءُ والولاةُ بالرّفع من قيمة العلماء ، وهكذا اشتهرت مدارسُ عديدةٌ في المغرب الأقصى مثل : فاس،وجدة. وفي الجزائر قسنطينة ،تلمسان وورقلة . أمّا المغرب الأدنى فتونس والقيروان [4]. لم يعرفْ الإقليم التواتي بكثرة زواياه ودورِهِ القرآنية فقط، بل لنوعيتها وخطرها العلميِّ الإشعاعي .كالزّاوية التي هي موضوع مذكّرتنا ، زاوية الشيخ العلاَّمة محمد ابنُ الكبير رحمه الله.

المطلب الأول: الشيخ ابن الكبير ، زاويته ونشأتها .

وُلد الشيخُ سنة 1333هـ الموافق لـ1911م ،بقرية "الغمارة" بلدية بودة حالياً. من والد اِسمُه عبد الله ، وسيّدةٍ اسمها مُباركة رحموني[1]. وللشيخ أختان شقيقتين وأخٌ. نشأ وتربّى في كنف أسرةٍ كريمةُ المحتدِ ينتهي نسبُها إلى الصحابيِّ الجليلِ عثمانُ بنُ عفانَ . كان والده من حفَّاظ كتاب الله المعروفينَ ،وكان عمُّه إمامَ مسجد القريةِ فأخذ العلم من أطرافه .

لم تكن مراكزُ التّعليم آنذاك تتعدى الكتاتيبَ والمدارسَ القرآنية ، فأخذ ودرس القرآن أولاً على يد عمه إذ حفَّظه القرآنَ وهو حدثٌ صغيرٌ ، وصلّى به القرآن وسنُّه لم تتعدى 15 سنة.

اِبتعثه الوالدُ بعد ذلك إلى تمنطيط قبلة العلم آنذاك، ليتعلم على يد العالم والمربّي الشيخ أحمد ديدي (1879م-1952).ففقه في هذه البلدةِ أمّهاتِ الكتب الفقهية خاصة واللُّغوية،كالرّسالة لابن أبي زيد القيروانيّ ،مختصرُ خليلٍ، وألفيةَ ابنَ مالك . إضافةً لذلك كله شرحَ كتاب الصحيح الجامع للإمام البخاري في ثلاثِ سنين .

كانت مدّة دراسة الشيخ محمد ابن الكبير في تمنطيط بولاية أدرار فرصةً ليلتقي بالعديد من العلماء، الذين اشتهروا وأثّروا في الحركة العلمية الفقهية واللُّغوية بعد ذلك أمثال : الشيخ أحمد نومناس (1908م-1979م) ،والشيخ محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق(1882م-1952م)، والشيخ بُوعلام (1877م-1955م) ، والشيخ عبد القادر الكرزازي (ت 1975م) هذا الأخير ترك صدىً علمياً بارزاً في قصر المطارفة ، بلدية المطارفة حالياً إذ تخرَّج على يديه العديدُ من حفاظ كتاب الله الذين يشهدون له بالفضل.

---

[3]- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان بيروت ،ط1، ج3، 1998م ، ص170

[4]-حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين صفحات مشرقة من تاريخ المغرب عبر العصور الوسطى،دار الفكر العربي،(د ط) ،(د ت)، ص76

[1]- محمد الطاهر بن التواتي السايحي ، شيخنا الإمام كما عرفته ، دار الطبع ابن خلدون، وهران ،(د ط)،(د ت)،ص40

بعد عودته إلى قرية الغمارة ببودة ، لازم بها والدَه لتكون تلك الفترة فرصةً للمراجعة والاستذكار ،استطلعت نفس شيخُنا محمد ابنُ الكبير للاستزادة من العلم الشرعي ، فحاول أنْ يتصل بالعديد من العلماء المعروفين آنذاك بمختلف الوسائلِ المتاحةِ سواءً مراسلةً أم سفراً .

وبعد مرور مدة استأذن والدَه وشيخَه ،راحلاً إلى تلمسان لينهلَ من علم العلامة بوفلجة عبد الرحمان[2] دفين تلمسان. كما كانت له رحلة إلى المغرب الأقصى[1] بجامع القرويين . ثم قفل راجعاً إلى الجزائر بالضبط إلى منطقة مشرية، فمكث فيها مدَّة يعلّم القرآن وعلوم الفقه والتّوحيد، تخرَّج العديد من الأئمة والمعلمين على يديه . وفي أول الأربعينيات عاد إلى أدرار بطلب من والدِه رحمه الله ليعينه على نوائبِ الدَّهر[2].

– **مدرسةُ تيميمون** : انتقل الشيخ إلى تيميمون بعد عودته مباشرةً من منطقة المشرية بولاية النعامة ، مدرساً وإماماً لمدة تقارب أربعَ سنواتٍ وبعد إلحاح من بعض أعيان المنطقة آنذاك.

درس وتخرج على يديه في تيميمون جمعٌ كثيرٌ أمثالَ ، والشيخ سالم بن براهيم . والشيخ الدباغي محمد، وفي مدة وجوده الشيخ بتيميمون توفي والدُه ، إذْ لم تكن الظروف والأجواء السياسية مواتيةً بشكلٍ كبير لمواصلة التعليم في تيميمون ، فقرَّر لسبب أو لآخر عدم مواصلة التَّعليم ، ورجع إلى بودة بأدرار[3].

–مدرسةُ أدرار : أسَّس الشيخ مدرستَه في قلب مدينة أدرار بعد تنقله من تيميمون ، في ظل ظروفٍ سياسيةٍ صعبةٍ وغير مستقرة زرعها الاستعمارُ الفرنسيُّ ، ولقد ابتدأ الشيخ في هذه المدرسة حياةً جديدة ،لما استشار شيخَه العلاَّمة أحمد ديدي لتولي منصب التَّدريس والإمامةَ بأدرار ، فبُورك هذا العمل سنة 1950م وافتُتِحت المدرسةُ سنة 1952م[4] بعدما بدأ البناء فيها سنة 1948م ،وقد جدّدتِ المدرسةُ بعد ذلك واتَّسعت وقصدها الطُّلاب من كل فجٍّ وصوبٍ، حتَّى من خارج الوطن .

كان الشيخُ محمد ابنُ الكبير على حسب ما حدَّثني به بعض جلاَّسه وتلامذته، جمَّ التّواضعِ ،علماً في العلم والتّقوى ، كان جليلُ الظَّاهر جميلُ الباطن ، يوصَفُ بإنالة الخيرِ في السّر والعلن ، مقبلاً عن الحق معرضاً عن الباطل ، شفوقاً على الطلبة رحيماً بهم، لا يدَّخر وسعاً في نُصحهم ،يحدّث النّاس على حسَب فهمهم ، لا يقعّر النُّصوص ولا يحدِّبها ، يمتاز سمته بالهدوء والأناة وتوسم الخير للنّاس ، عُرف شيخنا كذلك بالصبر والعزيمة ، يستشهد بالقرآن في مواقفه ووقفاتِه ،صاحب ذهنٍ وقاد ، دَمث الأخلاق ، سمح المنطر والشمائلِ والطباع

---

[2]– المصدر نفسه ،ص52

[1] – مولاي التهامي غيتاوي ،الضوء المستنير في معرفة الشيخ سيدي محمد بن الكبير ،، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر ط1،2002م،ص18

[2] – المصدر نفسه ، ص19

[3]– محمد الطاهر بن التواتي السايحي ، شيخنا الإمام كما عرفته ، دار الطبع ابن خلدون، وهران ،(د ط)،(د ت)،ص53

[4] – المصدر نفسه ، ص86

هادئاً، لا تراه وقت فراغه إلا متعبداً بالقرآن الكريم . ابتلاه الله بمرض استدعى بترَ رجله ،ولقد ظلَّ رغم كلُّ هذا مجاهداً مرابطاً ،يحضر الصلوات والجمعة إلى أنْ توفاه الله يوم :16 جمادى الثانية سنة 1421هـ الموافق لـ 15/سبتمبر 2000 م . وتمَّ تشييعه في جنازة مهيبةٍ حضرها الطُّلاب والمريدين وسلطات الدولة . أبَّنه الشيخ سالم بن براهيم التلميذ الأبر الملازم له من تلدمذته علية إلى أنْ وافاه الأجل، قائلاً[1]: " بِسْمِ الله والحمدُ للهِ ولا رادَّ لقَضَائِهِ ... أيُّتها الرُّوحُ الطيِّبةُ .... يا مَنْ لبَّيتِ نِداءَ اللهِ فرجعت إلَى ربِّك راضيةً مرضيةً مطمئنةً ....أيُّتها الرُّوحُ الطُّاهرةُ الكريمةُ ، روحُ سيّدنَا ومربّينا وقدوتِنا الشيخ محمد بن الكبير طيَّب الله ثَراهُ وأكرمَ مثواه وجعلَ الجنَّة مأواهُ .... السَّلام عليكُم وَرَحمَة الله .. سلامٌ عليكُم في الخالِدين ."

– نشاطاتُه وأعمالُه الإصلاحية :

أنَّ الشيءَ الذي لاشكَ فيه أنَّ اللهَ قد خلقَ الجنَّ والإنسَ لعبادته والإحسان في طاعته، بدليل قوله تعالى :{ وَمَا خَلَقْتُ الجنَّ والإنسَ إلا ليعبدون . }[2] . وقوله تعالى : { قل إنّي أمرتُ أن اعبُدَ اللهَ مخلصاً له الدّين وأمرتُ لأنْ أكونَ أوّل المسلمين قل إنّي أخافُ أنْ عصيْتُ ربّي عذابَ يومٍ عظيم قل اللهَ أعبد مخلصاً له دِيني فاعْبُدُوا ما شئتم منْ دونه }[3]. الأمر الذي جعلَ الإنسانَ بصفته سيّداً موجهاً العباداتِ لخالقه، سواءً بتأدية الواجباتِ وامتثالِ الأوامرِ والنواهي الإلهيةِ ، أو عن طريقِ إفادةِ المجتمع الإنسانيِّ . وسأتطرقُ في هذه الأسطر للنشاطات والأعمال الإصلاحيةِ التي قدَّمها الشيخُ محمد بن الكبير للمجتمع التواتيَّ في الإطار الخاص ، وللمجتمع الجزائري في إطار عام .

أ– مساهمتُه في بناء الجزائر المستقلة :

بعد استقلالِ الجزائر سنة 1962م تمكنَّ الشيخُ محمد بن الكبير من توسيعِ نضالِه وأعمالِه الجهاديةِ الخيريةِ . فلم يبحثْ عن المناصبِ في الدولة ، بل كان يرى أنَّ الجهادَ متواصلٌ مادامتِ الجزائرُ قد خرجت من دمارِها الفكريِّ الثقافيِّ ، وأنَّ اللهَ هيَّئ لها الحريةَ في الأوطانِ خيرُ نعمةٍ يُحمد عليها الربُّ سبحانه وتعالى.

وقد اتسعت المدرسةُ وزاد عددَ الطُّلاب والمدرّسين والضيوف .ونحن عندما نتكلم عن مدرسةٍ نتكلم عن بيتٍ زاره الرؤساءُ والوزراءُ ومختلفُ مسؤولي الدولةِ .

وتتجلى مساهمة الشيخ في بناء جيل واع يتحمل مسؤولية الغد في :

– اقتفى الشيخ بن الكبير آثار شيخه ، وجنَّد نفسه وجهده وماله لنشر العلم، فوسع الله عليه بما لا يدخل تحت حصرٍ ، ومع هذا لم يدَّخر هذا الفضل لنفسه وإنما كان ينفق على الطلبة ،كما أنَّ مدرسته كانت ولا تزال مأوىً لعابري السبيل وللأخيار الفضلاء من الناس.

---

[1] – محمد الطاهر بن التواتي السايحي ، شيخنا الإمام كما عرفته ، دار الطبع ابن خلدون، وهران ،(د ط)،(د ت)،ص39

[2] – سورة الذاريات الآية 65

[3] – سورة الزمر الآيات 12، 13 ،14

– ألهمهُ اللهُ أفقَ التَّفكير في تسيير المدرسةِ وشؤونِها كلِّها ،فقد أدارها بنفسه مع حسن تصريف المساعدين له.
–أوقفَ حياتَه على العلم تعلماً وتعليماً، وخرَّج الكثيرَ من الطَّلبة الذين هم اليوم أئمة ،مفتشين وخطباءَ .
–استطاع في ظرفٍ وجيزٍ وبفضلِ الله أنْ يُضفيَ على المنطقة سُمعةً متميزةً بفضلِ علمهِ وعمله ،وجعلَ لمدرستِه طابَعاً خاصاً في الزيّ والسُّلوكِ .

ب– رئاسته للمعهد الإسلامي بأدرار:

لقد اقتُرح إنشاءُ معهدٍ إسلاميّ[1] مقرُّه مدرسةُ الشيخ ويكون هو مديره ،وهذا ما حدَثَ بالفعلِ عندما نُصّب الشيخُ مديراً للمعهد وجِيء بالأساتذةِ من بعض الدُّول العربيةِ كمصر وسوريَا.

من أهمّ نشاطاتِ المعهد آنذاك تكوين الإطارات الدّينية من أئمة ومفتشين ، وكانتْ أمام هذه الأسراب العلميةِ المتخرجة تحدياتٌ ورهاناتٌ يجب تخطيها سيَما وأنَّ الجزائر آنذاك حديثة العهد بالاستقلال، ولم تكن لإدارةِ المعهدِ من طرفِ الشيخِ رابطةٌ وعلاقةٌ بسير زاويته ومدرستِه، بل سيَّر المعهدَ وبقيتْ مدرستُه على حالِها تنشطُ كسابقِ عهدِها قبلَ أنْ يفتتح هذا المركزُ العلميُّ التكوينيُّ.

ج–إصلاحاته: إنَّ المستعمرَ الفرنسيَّ قد عمل جاهداً على طمسِ الهويةِ الوطنيةِ الاجتماعيةِ الجزائريةِ لينسلخَ كلُّ فردٍ من القيَم والتقاليدِ المنسجمة مع روحِ الإسلام. هذا الطَّمس جاءَ من خلالِ زرعِ بعض الأمور التي ما أنزلَ الله بها من سلطانٍ ،كالأضرحةِ العالية وإشراكِ أصحابِها بالله سبحانه وتعالى ، التمايزُ العنصري ، والابتعاد عن بعض قيم الإسلامِ الحنيفِ.

***إصلاحاته في الجانب الديني :**

يشملُ الجانبُ الدّينيُّ ، الفقهَ بشقيه المعاملاتِ والعباداتِ ،وتمثلت إصلاحاتُ الشيخ في تلقين الدروس لجميعِ شرائح المجتمع بطريقة سلسة – مركزاً على المذهب المالكي – أبعدَ ما تكونُ ألغازاً مقفلة .كما كان الإصلاحُ الدينيُّ للمجتمع التواتيّ وكغيره من المجتمعات ضرورةً فرضها الزمانُ قبل أنْ يفرضها المكانُ .كان الشيخ بن الكبير طوال مدة أكثر من 50 سنة مرجعيةً دينيةً ذات صدرٍ كبيرٍ ، يسمع لاهتمامات الناس وهمومهم ،فهو وكما يتحدث عنه تلامذتُه –وهم في الغالب شيوخ زوايا أو معلموا قرآن– ما كان يغيب عن حلقات الدروس وخاصة الليلية منها ،إلاَّ لضرورة ملحةٍ. فقد شرح في هذه الحلقات الكتبَ والمتونَ الفقهيةَ المالكيةَ مثل ابنَ عاشرٍ ، رسالةَ ابنَ أبي زيدٍ القيروانيّ...ألخ

***إصلاحاته في الجانب الاجتماعي :** لقد كان من بين الأهدافِ والغاياتِ الكبرى للشيخ أنْ يُسهم في بناء مجتمع ملؤه الإسلامُ الحنيفِ ، ولنْ يتسنَّ ذلك بطبيعة الحال إلا بالعملِ المتواصلِ والمركّز على :

01–الوقوفِ ضدَّ الجهلِ والأميّة : من خلالِ تعليمِ صغارِ الحفظةِ لكتاب اللهِ وأصول الدّين، ليكونوا أئمة ومنذرين إذا رجَعوا إلى قومِهم ،وما أكثرَ المتخرجين الذين اتَّجهوا إلى مختلفِ ولاياتِ الوطن ،حاملين معهم لبابَ المذهب المالكيّ.وهناك الكثير من الأئمة من ابتُعثوا خارج الوطنِ من أجل إكمال مسيرة الدعوة.

---

[1] - محمد الطاهر بن التواتي السايحي ، شيخنا الإمام كما عرفته ، دار الطبع ابن خلدون، وهران ،(د ط)،(د ت)،ص64

2-الدعوةِ إلى اللهِ : وهو ما أكسبَه حبَّ المجتمعِ بكل شرائحِه ، قال تعالى :{أُدْعُ إِلَى سبيلِ ربّك بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ وجادلهُم بالتي هِيَ أحسنُ إنَّ ربَّك هو أعلمُ بمن ضلَّ عن سبيلهِ وهو أعلمُ بالمهتدين }.[1]

.03-تكوينِ جملةٍ من الكفاءاتِ كالأئمة والخطباء ، يعملون على توعيةِ المجتمعِ وما أكثرهم ، ولقد تتلمذ على يد الشيخ عددٌ كبيرٌ لا يمكن حصره أمثالَ الشيخ الحاج الحسان ،شيخ زاوية أنزجمير ، الشيخ العلاَّمة سالم بن براهيم ،شيخ المدرسة الداخلية لمسجد عبد القادر الجيلاني بأدرار ، الشيخ محمد الدباغي ، والشيخ الحاج الكبير ، والشيخ عبد الكريم مخلوفي ، والشيخ الصالح أوكادو شيخ المدرسة الأحمدية بأوقروت .

د- زاويةُ الشيخ بن الكبير ووظائفُها في إنجاح التّعليم القرآنيّ :

لقد اكتسبتْ زاويةُ الشيخ طيَّب الله ثراه خبرةً لها شأنُها في مجالِ تعليمِ القرآن ، وذلك راجعٌ إلى الفترة التاريخية التي بقيت المدرسةُ فيها تمارس هذهِ العملية ، لذلك هي تعتبرُ إحدى البيئاتِ التّعليمية التّربوية الفعالة في المجتمع.

1-**الوظيفةُ الدّينيةُ** : تتمثلُ في تلك الحلقات التعبديةِ لحفظ القرآن وقراءته الذي يكون غالباً في الأقسام أو المسجد، فيحصلُ بذلك لهم الاجتماعُ ،نزولُ السَّكينةِ وغشيانُ الرَّحمة لقوله صلى الله عليه وسلم "ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ الله يتلونَ كتابَ اللهِ ويتدارسونهُ بينهمْ إلاَّ نزلتْ عليهمُ السَّكينةُ وغشيتهمُ الرَّحمة وحفتهم الملائكةُ وذكرهمُ الله فيمنْ عنده" ، وتتجلى الوظيفة أيضاً في حثّ وتدريس التلاميذ على ذكر الله ، ومن أعظم الذكر القرآن.

2-**الوظيفة الأخلاقية**: الخُلق بمعنى الدّين أو الطبع والسجية ، وهو ما يتعامل به الإنسانُ مع غيره ،-وكان محموداً- فالوظيفةُ الأخلاقيةُ هي تلك القيمُ العالية والصفات الفاضلة التي تغرسُها المدرسةُ في الطُّلاب ،من خلالِ ممارساتٍ المعلم اللَّفظية والسُّلوكية.

3-**الوظيفة العقلية** :

يعدُّ العقلُ من المكوناتِ المهمة للشخصيةِ ،فهو المحرك للبدنِ . وتربيةُ هذا الجانب يتمُّ من خلال تنمية القدراتِ العقليةِ كالإدراك ،الحفظ ،التذكر والاسترجاع . تتجلَّى وظيفة الزّاوية في ذلك بتلك المتون التوحيدية التي تعتمدُ على الاستنتاجاتِ النقليةِ والعقليةِ.

[1]- سورة النحل، الآية 125

المطلب الثاني: المراحل التعليمية العامة بها ، ومقرراتها الدراسية .

01- المراحل التعليمية بها :

ما يلاحظ على التعليم في الزوايا عامةً أنَّه تعليمٌ بسيطٌ في شكله ، عميقٌ في مضمونه لاستغراقه التركيز والاقتصار على أشياءَ وموادَ محددةٍ دونَ التوسع في المناهج والطرق التعليمية ، ينقسم ويندرج التعليم في الزوايا إلى شقين أو مرحلتين :

1/1- مرحلة حفظ وتثبيت القرآن الكريم :

غالبية الزوايا والكتاتيب الجزائرية والتواتية خاصة ذات النظام الداخلي أو الخارجي، تبدأ بتلقين الوافدين إليها القرآن الكريم انطلاقاً وبدءً بتلقين أصول العربية كطرق التهجي والكتابة ، ثم ختاماً ببدءِ عملية الحفظ التي تكون في أغلبية الأحوال من المعوذتين فصعوداً.

أما إذا كان الملتحق متوسط العمر متمكناً من التهجي والكتابة، فإمَّا أنْ يفتتح اللوح من المعوذتين أو من بداية المصحف من سورة الفاتحة، أومن المكان الذي توقف فيه الحفظ قبل التحاقه بالزاوية، إنْ كان يدرس القرآن على يد والديه أو أحد معلميه.

لا تتم عملية الحفظ في زاوية الشيخ ابن الكبير إلا في لوح مهيأ للعملية[1]،إضافة إلى خطة ذهنية تتماشى والقدرات الشخصية للطالب .

في المرحلة الاستعراضية التي لا يدخل فيها الحفظ إلى الذاكرة العميقة ،يتدرج فيها الحافظ بكتابة ثمن من الحزب أو ربع الحزب (على حسب قوة حفظه) ، إلى أن يختم القرآن ويستعرضه . لكن عند رجوعه عليه فإن الحفظ يتدرج بالطريق نفسها أو يزيد عليها لتكون الكتابة بنصف الحزب وهذه المرحلة تعتبر تأكيداً وترسيخاً للحفظ. هذا ويتطور الحفظ في الزاوية بأمورٍ لها إجراءاتها التعليمية القوية كالحزب الراتب ، التكرار، والاسترجاع بالممارسة اليومية .

*- الإجراءات التعليمية في مرحلة حفظ القرآن الكريم :

إذا كان الهدف الأسمى من الالتحاق بالزاوية، حفظ القرآن الكريم والتَّمرس على تجويده وإتقان متشابهاته، فذلك إجراءاتٌ متبعة لها النفع الكبير في عملية ترسيخ آيات الكتاب :

* **الرَّسم** : تستخدم تقنية الرسم للأطفال الذين لم تستقر في أذهانهم فنيات التهجي والكتابة ، وعادةً ما يتم رسم الحروف وأجزاءَ الآيات على الرمل الموضوع في صحنٍ مقتنى من جريد النخل ، لينقلها المتعلم حرفياً كما يراها .

***الإملاء[1]** : يبتدئُ الطلبةُ في زاوية الشيخ ابن الكبير يومهم بعد صلاة الصبح بالكتابة والحفظ ،والكتابة على اللوح لا تتم بالنقل المباشر والحرفي، وإنما عن طريق الإملاء أو (الإفتاء) .حيث يجتمع مجموعة من الطلبة المختلفي السور حول معلمهم، ليمليَ الآية أو الآيتين على كل واحد منهم ليكتبها ،ثم ينتقل إلى الأخر وهكذا.

---

[1] – محمد منير مرسي، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية،عالم الكتب، القاهرة (د ط)،2003م، ص 288

* **الضبط والتشكيل:** عند نهاية عملية الإملاء يقوم المعلم بمراجعة ما كتبه الطلبة على ألواحهم ،متأكداً من صحته سواءً من حيث الموافقةُ للرسم العثمانيّ أو من حيث مطابقتُه بأوجه العربية والإعراب .هذه العملية تسمى محليا" التَّسلاك"وكأنَّ المعلمَ يسلُك أو يمرُّ على هذا النص القرآنيّ ليضبطَه على وجه الصواب. يعرض الطالب في زاوية ابن الكبير القرآنَ-بعد مروره على المرحلة الاستعراضية والمرحلة الترسيخية-جملةً واحدةً على المعلم أو بتجزئته خمسةَ أحزاب خمسةَ أحزاب على حسب توفر الوقت لدى المعلم ,لينتقل الطالبُ بعد ذاك إلى المرحلة الثانية في تعلمه.

1/2- مرحلة تعلم اللغة وأصول الدين :

لا ينتقل الطالبُ إلى المرحلة الثانية إلا بعد تمام حفظه للقرآن الكريم ،حفظاً مستحكماً متقناً للمتشابهات.إذ تُراجع المتون وتناقشُ في أغلب الزوايا التواتية من بعد وقت الضحى ,حيث يجتمعُ الطلبة على شكل حلقاتٍ جماعيةٍ ليقوم المعلمُ بشرح المتون وتُواصلُ العمليةُ بعد صلاة المغرب.

02- المقررات الدراسية في المرحلة الأولى والثانية:

تدرَّس في زاوية الشيخ بن الكبير إضافةً إلى تعليم القرآن الكريم وعلومِه علوماً جليلةً كالفقه على المذاهب الأربعة ،وإنْ ظهر الفقه المالكيُّ كمذهبٍ بارزٍ في الدراسات والكتب المغربية.

***الفقه:** أخذ الفقه المالكيُّ الحظ الأوفر في مائدة التلاقح العلمي الثقافي في منطقة توات , موازاةً مع المذاهب الأخرى ،تُعتمد في دراسة الفقه في زاوية الشيخ ابن الكبير وعامة الزوايا التواتية منظوماتٍ وكتباً أهمها :

- **العبقري** : هو نظم في باب السهو في الصلاة من مختصرالشيخ الأخضري في العبادات ، ألفه الشيخ محمد بن أب المزمري (ت1160هـ) في 159 بيتاً ، بدأ الشيخ المنظومة الرجزية بقوله :

الحمدُ للهِ الجزيلِ النعمِ مرشدُ منْ عن سبلِ الحقِ عمِ
وبعدُ فاعلمْ أنني قصدتُ إنجازَ ما كنتُ به وعدتُ
برجزٍ سمَّيته وهو حرِي بالعبقرِي في نظمِ سهوِ الأخضري

-ابن عاشر: نظم على وزن الرجز يسمى " المرشد المعينُ على الضروري من علوم الدين"[1] ،للشيخ ابن عاشر . يبدأ المتن بمقدمة يصرح فيها الناظم بعقيدته ومذهبه وطريقته الصوفية.

وبعدُ فالعونُ مِنَ اللهِ المجيدْ في نظم أبياتٍ للأميّ تفيدْ
في عقدِ الأشعري وفقهِ مالكْ وفي طريقة الجُنيد السالكْ

---

[1] - ماجد زكي الجلاد ،تدريس التربية الإسلامية الأسس النظرية والأساليب العملية ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ط1 ،2004م،ص33

[1] -محمد الفتحي المراكشي ، شرح ابن عاشر المسمى الحبل المتين،المكتبة الشعبية ، بيروت لبنان (د ط) ، (د ت) ، ص03

هذا المتن يحتوي على مباحث في العقائد والفصول الفقهية كالطهارة والاغتسال ثم شرح مفصل لأركان الإسلام ، مختوم بفصل يتحدث فيه عن شروط المريد الصوفي السالك ،أهمُّ شرحٍ دقيق له ومختصر ما وضعه الشيخ محمد بن المبارك الفتحي المراكشي.

–مختصر خليل: مؤلَّف فقهي يضم فائدةً كبيرةً ومختصرةً ،من تأليف العلامة خليل ابن إسحاق الجندي (ت767هـ) من كبار فقهاء المالكية ، يحتاج إلى درايةٍ أوليةٍ لأحكام الفقه واللُّغة ،لأنَّه اقتصر على الأحكام الكلية تقريباً ،دون التطرق إلى التفريعات والجزئيات .وهو بذلك لا يدرَّس إلا إلى المستوى الأعلى في الزوايا .

– رسالة ابن أبي زيد القيرواني :كتاب على مذهب الإمام مالك ، قصد فيه واضعه تعليم الناشئة من الصغار، وما احتاج إليه الكبار.جمع المؤلف فيه السنن والرغائب والآداب .

– أسهل المسالك : ألَّفه الشيخ محمد البشار وهو نظم لمتن " ترغيب المرشد السالك إلى مذهب الإمام مالك" للشيخ إبراهيم السهائي ، عبارة عن منظومة جامعة وافية حوت أبواب الفقه ومسائله ،من عبادات ومعاملات .

***العقيدة والتوحيد** : من أولويات عمل زاوية الشيخ محمد بن الكبير ، تصحيح العقيدة وإقامة التوحيد لله سبحانه وتعالى. وتحفظ لذلك متونٌ وعقائد على اختلاف المراحل العمرية للطلبة، لأنَّ العقيدة الصحيحة مع التربية والتعليم من أهم ركائز بناء الأمم والمجتمعات . إنَّ المتون العقائدية التي تدرس في زاوية الشيخ بن الكبير متمثلة كلها في عقيدة الأشعريين .

–الأوجلي : من أول المتون المدرسة بأغلبية الزوايا التواتية ، يعرف ببساطته وخفة لغته ، يركز المتن على صفات الله سبحانه وتعالى وما يجوز في حقه ، ثم يعرج ليتكلم عن الرسل والملائكة وما يجوز في حقهم وما لا يجوز.

–جوهرة التوحيد :ألَّفها الشيخ إبراهيم اللقاني رحمه الله ،وسماها "الجوهرة"في 144بيتاً ، عرض الشيخ في متنه صفات الله سبحانه وتعالى، ثم أعقبها بضدها وما يستحيل في حقه ، ثم ينتقل إلى ما يجوز للرسل الكرام من الأعراض البشرية كالمرض والنكاح والأكل . وبعدها ينتقل إلى الكلام عن الملائكة والموت وعذاب القبر .

***النحو وعلوم العربية** : لقيت علوم العربية في الإقليم التواتي إقبالاً كبيراً إذِ اشتدت الحاجة إلى متونٍ تساعد على استيعاب علوم العربية منذ القديم ، لاسيما تلك المتون المخصصة لتعليم النحو لأنَّها بمثابة الضوابط والقيود في مبادئ النحو والصرف، ولقد سعى أصحابُها من وراء تأليفهم لها ،إلى تبسيط القواعد من خلال تجريدها من كثرة التفريعات وسعة التعليلات [1] .

–متن الأجرومية : نال هذا المتن شهرة وشيوعاً ، وضع تأسيساً وتوضيحاً لمبادئ العربية من طرف ابن آجروم المغربي (ت723هـ) ، يقال أن ابن أجروم أوجز فيه كتاب "الجمل في النحو " للقاسم عبد الرحمان بن إسحاق

[1]– ينظر حسن العايب ، إسهامات المجامع اللغوية في تيسير النحو ، دراسة نقدية في ضوء التراث العربي ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ، العدد 05ماي 2005م ، ص398

الزجاجي المتضمن 145 باباً في النحو ومسائل العربية ، اختار ابن آجروم في متنه اختيارات المدرستين الكوفية والبصرية ، لذلك اهتم به علماء النحو ووضعت له شروحاً عديدة كشرح الكفراوي (ت1202هـ)، التحفة السنية في شرح متن الأجرومية لمحمد محي الدين عبد الحميد ، وشرحه الشيخ مولاي أحمد الطاهري في كتاب سماه " الدر المنظوم في شرح بن أجروم "

– **ملحة الإعراب** : ألفها الشيخ القاسم بن علي الحريري البصري، الأديب الكبير،صاحب المقامات ، ولد في 446هـ ، وتوفي سنة 515هـ ، نظمه ضمَّ جلَّ أبواب النحو ومسائله بشيء من الخفة والتمثيل البسيط.[2]

–**ألفية ابن مالك:** نظم من الشعر التعليمي في أكثر من ألف بيت ، وهو نظم مرتب على وجه أفضل ، جمعت فيه قواعدُ العربية ، وترجمت الألفية إلى لغات عديدة ، من أهم شروحاتها:

1–شرح أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام (ت 761هـ–1359م) ، حققه الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ، في مؤلف سماه "عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك"

2–شرح ابن عقيل بهاء الدّين عبد الله (ت769هـ–1367م) حققه الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد .

3–شرح الأشموني أبي الحسن علي نور الدين بن محمد عيسى(ت929هـ–1522م) وهو من أكثر الشروح استيفاءً لتفصيل الأبواب وتوضيح الشواهد.

3- الوسائل التعليمية في المرحلة الأولى والثانية :

للوسائل التعليمية أو الوسائط أثر كبير في ترسيخ المعلومة وتوضيحها ، والرسول صلى الله عليه وسلم وظف مجموعة من الوسائل التعليمية الإيضاحية إعانةً ورحمةً بالمتعلم لترسيخ معلومته وإيقاع أثرها في قلبه [1].

*** اللُّوح:**

يصنع عادةً من الأخشاب ، مستطيل الشكل ذو قاعدةٍ مستويةٍ ، يدهن أو يطلى بمادة طينية بيضاء عند الكتابة عليه ، تسمى محلياً الصمصاد. على مرّ نشأة وتطور الزوايا لم تستعمل أي أداة لحفظ القرآن الكريم سوى اللُّوح ، قال محمد بن حنبل موجهاً التحية للوح قائلاً من بحر الخفيف[2] :

عَمْ صباحاً ؛ أفلحتَ كل فلاحِ، فيك يا لوحِ؛ لم أطعْ ألفَ لاحِ

أنتَ يا لوحِ صاحبي وأنيسي، وشِفائي منْ علتي و لوَاحي

***الدَّواة :**

بوتقةٌ حافظةٌ لمادة الكتابة ،الصمغ أو "السمق"،تقتنى عادةً من البلاستيك أو الزجاج الشفاف أو العاتم ، تضاف إليها – حسب الأعراف المحلية – قطعةٌ من الأسفنج لغرض الاقتصاد والجاهزية الدائمة للاستعمال .

---

[2] – أبو القاسم محمد بن علي ،ملحة الإعراب ، المكتبة الشعبية، بيروت لبنان، (د ط)، (د ت)، ص04

[1]– عزيزة بكوش،المنهج التربوي عند المعلم القدوة صلى الله عليه وسلم ،رسالة المسجد ،الجزائر، العدد04 ،أفريل 2011م، ص 35

[2]– الخليل النحوي،بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية ،دار الثقافة والعلوم، تونس (د ط)،1987م،ص128

*القلم:

يصنع ويبرى من القصب الجاف ، صلبٌ وخفيفُ الوزن متوسط الطول بين 15سم إلى 20سم ، ينجر رأسه من الجانبين على شكل مثلثٍ حتى يلائم رأسُه – بعد أن يشق إلى نصفين- لنوعية الخط المراد الكتابة به *المداد : (الصمغ ،السمق) هو حاصلُ حرق مادة الصوف للحصول على مادة سوداء لماعة ، ولعملية الحرق حقيقة طقوسٌ ما تزال تقام في بعض القرى، إلى اليوم إذ لا تقام عملية الحرق إلا في يومي الأربعاء أو الخميس .

المطلب الثالث : طريقة التعليم وطرفي العملية التعلمية العلمية:

يختلف التعليم في الزوايا اختلافاً جذرياً عن نظيره التعليم المدرسي والحكومي ، وتتمثل بساطته في الزوايا بذلك النظام المتبع على شكل حلقات علمية، والشيخ يجلس تحت عرصةٍ من المسجد بينما يلتف الطلبة بانتظام حوله، وكأنَّ هذه الجلسة تبركاً بما كان يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه وأسوة به[1] .

1- التدرج في التعليم من السهل إلى الأصعب :

بعد أن يعي ويعرف الطالب جانباً من العلوم المقررة ومبادئها ينتقل به معلمه إلى جانب أخر – وهكذا . ويرى ابن خلدون في مقدمته أنَّ تحصين إفادة العلوم يكون عن طريق التدرج ؛ لأنَّ المتعلم في أول الأمر يكون عاجزاً عن كل ما هو مفصل ، لذا وجب على المعلم أنْ يعطيه صورة عامةً عن هذا العلم ثم يمثل له بالأمثلة الحسية التي تدرك بالعقل بمساعدة الوسائل التعليمية الإيضاحية ، وبعد ذلك ينتقل إلى ما هو أصعب .....

وهكذا تحصل الإفادة[2]، وللمتون المدرسة في زاوية بن الكبير وأغلب الزوايا في الإقليم التواتي مستويات تعطى على حسب تدرج الطالب فيها[3] .

- **ففي المستوى الأول** : نجد في التوحيد متن الأوجلي والسنوسية الصغرى في التوحيد ، العبقري وابن عاشر في الفقه ، و الأجرومية في النحو .

- **أما المستوى الثاني** : فنجد الجوهرة في التوحيد ،أسهل المسالك ورسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه وملحة الإعراب في النحو .

- **أما المستوى الثالث** : فإضاءة الدجنة في المنطق ، مختصر خليل والمدونة في الفقه ،ثم ألفية ابن مالك ومغني اللبيب ، وقطر الندى في النحو .

2- نظام الوقفة [1] :

[1]- سعد بن سعيد جابر الرفاعي،النموذج الإسلامي لتمويل التعليم،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع،القاهرة ،ط1،2005م،ص 23

[2] - عبد الرحمان بن خلدون ، المقدمة ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ، ط1، 2004 م، ص605 - 606

[3] - عبد المجيد قدي ، صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة ،(د د م) ، (د م م)، (د ط) ، ص 218

[1]- الوقفة هي النصيب أو الجزء من المتن الذي يتم حفظه من طرف الطالب، أوشرحه والتعليق عليه من الشيخ سواءً ، أكان ذلك في متون العلم أو في القرآن الكريم .

تستمر مراجعة المتون في زاوية أبن الكبير وأغلب زوايا توات ،من بعد وقت الضحى ، وبعد ذلك يلتف أصحاب الوقفات على شكل حلقات صغيرة يتدارسون تلك المقاطع من المتون سواءً أكانت منظومة أو نثرية وبعدها يجتمع الطلبة في حلقة الشيخ، وقبل مجيئه يقرؤون تلك الوقفات المقررة جماعياً ويقفون على محل الشواهد والأخطاء التي يقعون فيها أثناء القراءة ، وبعد مجيء الشيخ يقوم بالشرح اعتماداً على ذاكرته وفي بعض الأحيان يستعين ببعض شروحات المتن .

وفي المساء بعد صلاة الظهر يتلى القرآن جماعياً ، قبل أن ينفرد كل طالب إلى لوحه ليحفظه ، وبعد صلاة المغرب مباشرة يجتمع الطلبة لقراءة ما تيسر من القرآن الكريم ،ثم شرح الوقفات في مختلف العلوم قد تصل أحيانا ،إلى عدة متون سواءً في علم واحد أو من علوم مختلفة . وهكذا على مر أيام الأسبوع عدا الخميس والجمعة المعتبران يوما عطلة .

إن لإنجاح العملية التعليمية في الزاوية لابد من توفر عنصرين تواصليين أساسين :

** **المعلم** :

يعرف في الزاوية بالشيخ ، وهو أحد الأركان الأساسية في العملية التعليمية . حيث أنَّه يتبع طرقاً وأساليبَ معينة قصد تلقين الدرس المطلوب، ملتزماً الفصحى في لغته[2] ومخاطباته لتلاميذه. وعملية التعليم لا تقتصر على الشيخ أو المعلم لوحده، بل تتعدى لغيره من المعلمين المساعدين الذين يحفظون القرآن للطلبة وعلومه . يتعين على المعلم في الزاوية توفرُ سماتٍ شخصيةٍ وعلميةٍ منها :

1) الرفق في التعليم : فالرفق يعدُّ من الأصول المهمة في التعليم والتربية – إذ يندرج تحته التدرج في إعطاء المعلومة –.

2)الصبر على المتعلم : وهو خلقٌ عظيمٌ من الأخلاق والشيم الحميدة التي من تحلى بها نال العلا . وقد تردد ذكره في القرآن أكثر من مائة مرة مما يدل على أهميته . قال الإمام النووي رحمه الله[1]"....وينبغي أنْ يحنوَ على الطالبِ ويعتني بمصالحه كاعتنائه بمصالح ولده ،ويجري المتعلم مجرى ولدِه في الشفقة عليه، و الاهتمام بمصالحه والصبر على جفائه ...."

3)مراعاة الفروق بين الطلاب : إنَّ مراعاة الفروق الفردية بين الطلاب لمن أهم الأمور التي تحتاج إليها العملية التربوية ، لتمايز الطلاب في القدرة على الاستيعاب والتلقي والفهم. وهذه السمة الشخصية لها امتدادها من السنة العطرة ، ومن هدي معلم البشرية صلى الله عليه وسلم ،فكان يخاطب ويعلم كلَّ واحد بقدر فهمه . وما يلائم منزلته.

---

[2]– بهاء موسى، قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي ، دار الفكر للنشر والتوزيع،عمان،ط1 ،1987م ،ص112

[1] – مهدي دهيم ،عوامل النجاح القرآني للصغار، رسالة المسجد،الجزائر، العدد 04، أفريل 2011م ، ص21

4)العدل بين الطلاب : لابدَّ للمعلم المربي أنْ يأخذ بمبدأ العدل و المساواة بين طلابه ، ويحتاج تطبيق مبدأ العدل بين المتعلمين إلى مهارة ودربة ، لأنَّهم قدموا من بيئاتٍ مختلفةٍ وتلقُّوا تربياتٍ في أسرٍ متباينةٍ . فمن ثمَّ مراعاة نفسياتهم حتى في أيسر الأمور وأسهلها .

–المتعلم** : لا تكاد تنفرد أيُّ زاوية في الإقليم التواتي بمنظومتها التعليمية ، فالمنظومات والفلسفات التعليمية متقاربة تمثل المبادئ الفكرية والاجتماعية والدينية. والتي تعكس ذات المجتمع وأماله وتطلعاته ، خاصة وأنَّ الفعالية النفعية مطلبٌ حضاريٌّ اجتماعي . والمتعلم هو المستفيد الأول من النَّشاط التعليمي التَّعلمي ، ولقد فصلَّت الكثير من الكتب خاصة الصُّوفية منها آداب التعلم ،وما يجب على المتعلم جملةً وتفصيلاً .و لتدريس النَّحو في زاوية الشيخ بن الكبير أهدافٌ يمكن إجمالها في النقاط التالية :

1)- إدراك أهمية النحو في عصمة اللّسان العربي . وفهم الدلالات اللغوية واستيعاب مضامينها الفكرية.

2)- القدرة على اكتشاف الخطأ اللغوي عند مشاهدته، أو سماعها ثم المبادرة إلى تصحيحه .

3)-إكساب الطلبة القدرة على بناء الجمل وفقاً للترتيب الذي يقتضيه المعنى،والتمييز بين ما هو صحيح وغيره

4)- إتاحة الفرصة أمام الطلبة للتدريب على الاستعمال اللغوي الصحيح .

المبحث الثاني : نظام الدرس النحوي بالزاوية :

المطلب الأول : بين النحو العلمي والنحو التعليمي

إنَّ تعلم النحو العربي وتعليمه لمن المشكلات التي لا يزال العلماء يبحثون لها عن حل ، ولقد تنبّه العديد من اللّسانيين لهذه القضية ، محاولين وضع السبل المجدية للخروج منها ، بادئين وموضحين في أنَّ القواعد ليست غاية في حد ذاتها بل هي وسيلة. وتعليمية النحو العربي لا يمكن الاستغناء عنها لأنها تجعل للمتعلم القدرة على النطق السليم. ولقد دعا الجاحظ المعلمين دعوةً صريحةً إلى تعليم النحو بالقدر الذي يصلح اللسان ، وترك المسائل العويصة التي قد تكون عائقاً أمام تحقيق الهدف الذي وضع له. والشيء نفسه ذهب عليه ابن خلدون في مقدمته[1] . كذلك اتَّجهت المؤسسات التعليمية وبعض المجامع اللغوية ،إضافة للمفكرين إلى النظر في مناهج تدريس النحو وطرق تعليمه[2] ؛ من خلال عقدِ ندواتً تسمّى" تيسر النحو" وأولُ ما يتبادر إلى الذهن من سماع كلمة "تيسير " هو التبسيط ، الحذف أو الاختصار، إلاَّ أن " التيسير " يتعلق بكيفية التعليم لا في النحو ذاته..." فهو تكييف النحو والصرف مع المقاييس التي تقتضيها التربية الحديثة،عن طريق تبسيط الصورة التي تعرض فيها القواعد على المتعلمين [3] "ولقد برزت في العصر الحديث محاولاتٌ كثيرةٌ تدعو إلى تيسير النحو، حينما ظهر نفور الطلبة منه ، لصعوبة تعلمه . من تلك المحاولات ما قدَّمه الدكتور إبراهيم مصطفى ، والأستاذ مهدي

---

[1] – ينظر عبد الرحمان بن خلدون ، المقدمة ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ط1،2004م،ص 609-610

[2] – أحمد وليد جابر،تدريس اللغة العربية مفاهيم نظرية وتطبيقات عملية،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط1 ، 2002 م،ص342

[3] – محمد صاري ، تيسير النحو موضة أم ضرورة ، أعمال ندوة تيسير النحو،منشورات المجلس الأعلى للغة العربية،الجزائر،افريل 2001م،ص 184

المخزومي. ويوصف النحوُّ العربيُّ بأنَّه "النظام العقلي للغة ، فمن الضروري أنْ يحظى بالعناية الكافية[4] " والطالب في الزاوية يدرس النحو ضمن مجموعة من المواد، وهو في كثيرٍ من الأحيان لا يقف على الهدف من تعلمه.ربما لأنَّ المادة النحوية لا تراعي احتياجات المتعلمين لمحتواها . والقليل من يقف ويستنتج الفروق بين النَّحو العلمي والنَّحو التعليمي ، رغم أنذَ التفريق بينهما ضروريٌّ في عملية التيسير[5] .

أولاً: النحو العلمي:

يقوم النُّحو العلمي على جملةٍ من المفاهيم والمصطلحات ،أو هو "النَّحو الذي يستعمل في البحث عن الخصائص اللغوية للغة ما ، فهو يهدف إلى الخوض في أعماق النحو[1] " فالبحث في المسائل الخلافية والمنطق من تخصص النَّحو ، فهو لا يراعي القدرة على التعبير الشفوي والمدون لأنَّ ذلك من أهداف النحو التعليمي . ومن أسباب ضعف المتعلمين في النَّحو عدم مراعاة الطريقة والمنهج التدرجي .إذْ النَّحو العلمي يقوم على نظرية لغوية تنشد الدّقة والوصف في التعبير، وتتَّخذ لتحقيق هذا الهدف أدقُّ المناهج .

ثانياً : النحو التعليمي التربوي:

ويقصد به المستوى الوظيفي النافع لتقويم اللسان وسلامة الخطاب [2]،فهو يحتاج إلى توفر الأركان التربوية ؛ المنهج والطريقة . وهو يستقي مادته من مجموع ما يقدّمه النَّحو العلمي مع ضبطها ضبطاً يتلاءم والأهداف التعليمية .إنَّ الاستفادة من النحو التعليمي لابدَّ لها من اختيارٍ واصطفاءٍ للمادة النحوية الوظيفية ،ثم اختيار الطريقة المناسبة لشرحها على المتعلمين، حتى تصير ملكةً راسخةً في اللّسان ، فالحفاظ على ثبات اللُّغة نطقاً وكتابةً وفهماً لهو الهدف الرئيس من هذا النُّوع من التعليم .إنَّ الطالب في زاوية الشيخ ابن الكبير وكغيره من الطلبة في الزوايا القرآنية بحاجة إلى النَّحو التعليمي أو "التعليمية " لأنَّ هناك فرقٌ –كما أشرنا– بين ما هو علميٌّ الهادف إلى الخوض في أعماق النَّحو وتفاصيله ، وما هو تعليميٌّ الهادف إلى استثمار واستغلال بعض المفاهيم.

المطلب الثاني : القرآن الكريم والنحو العربي

لقد فاق القرآن الكريم العرب الفصحاء بعربيته وفصاحته ، لأنَّه الكلام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والمتطلع لمعرفة أسراره وعجائبه الأفضل له أنْ يكون متطلعاً على علوم القرآن الكريم لأنَّه الأساسُ الذي لابدَّ منه لرفع مستوى اللغة العربية ، والمتعلم في الزاوية زيادةً على حفظه للقرآن الكريم هو مجبرٌّ على تعلم قواعد اللغة العربية .لأنَّ بها نزل القرآن ،ولأنَّ المعرفة الصحيحة لمعانيه تستلزم الإلمام بقواعد الإعراب. وإذا ما توفر

---

[4] – أحمد حساني،النحو العربي بين الخطاب الفلسفي والخطاب التعليمي،أعمال ندوة تيسير النحو، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية أفريل 2001م،ص426

[5] – ينظر إبراهيم مصطفى ، إحياء النحو ، (د د ن) ، القاهرة ،(د ط)، (د ت) ،ص73

[1] – محمد صاري ، تيسير النحو موضة أم ضرورة ، أعمال ندوة تيسير النحو ، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، أفريل 2001م،ص 181

[2] – ينظر محمد صاري ، المقال نفسه ، ص185

هذا فالطالب سرعان ما يصبح متذوقاً لهذه القواعد ومستسيغ لها في طريق تطبيقها[1].وإذا كان هذا فمن الضروري أنْ يهتمَّ القائمون على تعليم القرآن بعلم النَّحو ،لأنَّ القرآن الكريم نزل بلسانٍ مبينٍ ، وحقيقة أنَّ الطالب إذا تمكن من قواعد اللغة العربية ، يستطيع أثناءَ قراءته القرآن الكريم أنْ يتجاوز اللَّحن ، وإذا ما وقع في ذلك فإنَّه سرعانَ ما يبادر إلى تصحيحه، إذِ التعليم القرآنيُّ يساعد على اتساع رقعة المخزون اللُّغوي للمتعلم فتبنى ملكته ، فلولا القرآن ولولا أسراره البيانية ما اجتمع العرب على لغته[2] ، كما أنَّه يمنح للطالب طلاقةً في اللسان ،حيث يصبح يقرأ سوره بسهولة ويسر ويعبر عن دلالاته حسب فهمه ،وانطلاقاً من تدرجه في استيعاب قواعد النحو.[3]

إنَّ العلاقةَ القائمة بين النحو العربي والقرآن الكريم ،تكمنُ في كون هذا الأخير مصدراً أولياً أساسياً ،لاستنباط القواعد وبنائِها ، وفي هذا الاتجاه لا يُعلَّم النَّحو من أجل الحفاظ على القرآن من اللَّحن فقط ،بل لأجل التطلع إلى سرّ هذه اللُّغة التي منحنا الله إيَّاها.ولقد أفرد العلامة جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) في كتابه " الإتقان في علوم القرآن "كلاماً في "قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها"[4] ،ومعظم القواعد التي أثبتها متعلقة بالنّحو . إنَّ الطالب في الزوايا عامةً يستفيد من مدارسته للقرآن نحوياً ، باستحضار الشواهد وتوظيفها في محلها.

المطلب الثالث : المناهج والأساليب التعليمية في تدريس النحو:

تعرف الزاويةُ كما الجامعات والمعاهدُ ، أساليبَ ومناهجَ يدرّس من خلالها النَّحو ، وأهمُّ منهج أو أسلوب في الزاوية يمكننا تسليط الضوء علية ؛ إستراتيجية الحلقات .

***الإستراتيجية** : استُعمل المصطلح بدايةً في الميدان العسكري، والذي قُصد به على العموم " فنُّ تركيب وتحريك القوات العسكرية، من أجل بلوغ هدفٍ حربي[1]" ، ثمَّ انتقل بعد ذلك إلى ميادين أخرى .ويُقصد بالإستراتجية ،مجموعة الأفكار والمبادئ التي تتناول ميداناً من ميادين النشاط الإنسانيّ ، بصورة شاملة ومتكاملة ، وتكون دالةً على وسائلَ العمل ومتطلباته ، قصد إحداثِ تغيّرات للوصول إلى أهدافٍ محددة[2].

الحلقة : جاء في قاموس المنجد في اللُّغة العربية والإعلام ، حرف الحاء في مادة (حَلَقَ) ، حلق الشيء جعله كالحلقة ، وحلَّق الطائر استدار كالحلقة ،وحلَّق النَّجم :ارتفع ، تحلَّق القومُ جلسوا كالحلقة ، والحلقة جمعها حِلقٌ وحلقاتٍ ، وحَلقةُ القوم دائرتهم[3].

---

[1]– محمد سعيد رمضان البوطي،تجربة التربية الإسلامية في ميزان البحث، دار الهدى للطباعة والنشر ، الجزائر (د ط) ،(د ت) ،ص 100

[2] – محمد صادق الرافعي ،إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، دار الكتاب العربي، بيروت ط9،1973 م، ص 80

[3] – إبراهيم خليل ، قواعد اللغة العربية للمتقدمين ،الأهلية للنشر والتوزيع، عمان ،الأردن ط1 ، 2001 م، ص53

[4] – عبد الرحمان السيوطي ،الإتقان في علوم القرآن ، دار الكتب العلمية، بيروت (د ط) ، مج 1م ،2002 ، ص379

[1] – مهدي المخزومي ، في النحو العربي نقد وتوجيه ، دار الرائد العربي، لبنان ط2، 1986م، ص470

[2] – ينظر المرجع نفسه ، ص 471

[3] – المنجد في اللغة والأعلام ، دار المشرق، بيروت ط36،(د ت)، ص 150

ونقصد بها ،الهيئة التي يكون عليها طلبة العلم في المساجد والزوايا حول شيخهم مشكلين حلقة، وهذه الهيئة كما أشرنا سالفاً كانت موجودة منذ العصر الإسلامي ، إذ كان الصحابة يتحلَّقون حول النبي صلى الله عليه وسلم لتعلم أمور الدين ، والدليل على ذلك حديث النفر الثلاث [4]القادمين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وهو جالسٌ مع أصحابه في المسجد فوقفوا. أمَّا الأول فرأى فرجةً في الحلقة فجلس فيها وأمَّا الثاني فجلس خلفهم ، والأخير أدبر راجعاً. في زاوية الشيخ محمد ابن الكبير وجدنا أنَّ النحو لا تُخصص له حلقة خاصة به أو يوم محدد ، بل يدرَّس ضمن سلسلةٍ من العلوم الأخرى ، يأخذ وقته فيها حسب موقعه في السلسلة ، والحلقات النَّحوية في زاوية الشيخ بن الكبير تختلف باختلاف المرحلة ، ويمكن تقسيم أنواع الحلقات إلى نوعين :

- الحلقات الابتدائية الأولية .
- حلقات المعلم الشيخ .

أ)- **الحلقات الابتدائية الأولية** : تكون هذه الحلقة مخصصة بمرحلة حفظ القرآن الكريم ، معدَّة للمبتدئين وغالباً ما يكون الملقي فيها ،المعلم أحد المدرسين المساعدين بالزاوية ، من خصائصها :

1- تبسيط المعرفة النحوية .

2- اعتماد المتون البسيطة كالآجرومية وهو المتن الذي يبدأ به غالباً.

3- مدة الدرس تكون قصيرة .

ب)- **حلقة الشيخ** : تعتبر الأساسية في التعليم بالزاوية ، وهي تنقسم إلى قسمين ، قسم خاص بطلبة المرحلة الثانية (مرحلة تعلم أصول اللغة وأصول الدين) ،وفيها يدرس النَّحو عن طريق المؤلفات والمتون الأكثر تعمقاً من متون المرحلة الأولى ، وقسم خاص بجميع الطلبة وعامة النَّاس القادمين إلى المسجد للصلاة، وحلقة الشيخ غالباً ما تكون بالليل بعد صلاة المغرب، إذِ المادة المدرسة بها بسيطة ومتوسطة، مراعاةً لمستوى الناس المتوافدين .والقسم الخاص بطلبة المرحلة الثانية التي ينتقل فيها الطلبة إلى مادة أكثر تعمقاً من المرحلة السابقة فينتقلون من " الآجرومية إلى الملحة فألفية ابن مالك[1]" معتمدين على الشروح المتداولة مثل شرح ابن عقيل وتكون هذه الحلقة بين حلقتين ،الأولى تكون تحضيرية لحلقة الشيخ ،وفيها يحضّر الطلبة الأبياتَ أو الأسطر التي ستدرس بالوقوف على شواهدها. وحفظ أبياتها والثانية تكون بعد حلقة الشيخ وفيها يقوم الطلبة بمناقشة واسترجاع ما قدمه الشيخ معتمدين على ما دونوه وأهم ما يميز حلقة الشيخ :

1) مخصصة للطلبة الذين أنهوا وأتمُّوا حفظ القرآن ؛وتفرغوا لدراسة العلوم الشرعية واللغوية.

2)الاعتماد على متون أكثر تعمقاً (الألفية والملحة).

2) المدة الزمنية لحلقة الشيخ تكون أطول .

---

[4] – ينظر محمد ناصر الدين الألباني ، مختصر صحيح البخاري ، المكتبة الإسلامية، بيروت ط5 ،1987م ،ص23

[1] - ينظر الصديق حاج احمد ، التاريخ الثقافي لإقليم توات، دار الثقافة، أدرار،ط1 ،2003،ص 48

3) يشارك الطلبة في العملية التعليمية بتحضيرهم للمتن وحفظه .

هناك طريقة وحيدة يدرس بها النَّحو العربي في زاوية الشيخ ابن الكبير وهي الطريقة القياسية ، وفيها يبدأ المعلم بعرض القاعدة النحوية أولاً وتعليمها للطالب ، ثم يعرض الأمثلة والشواهد التي توضح هذه القاعدة النحوية ، ثم يلجأ في الأخير إلى وضع التطبيقات عن طريق إيراد الجمل أو الكلمات[1] .لأجل ترسيخ القاعدة لدى الطُّلاب ، وما يلاحظ على هذه الطريقة أنَّها تعتمد على التفكير القياسي الاستبدالي[2] ،الذي يقوم على الانتقال من المقدمات إلى الوقائع والنتائج، ويتم التوصل إلى هذه المبادئ والقواعد عن طريق الاستدلال .

[1]– ينظر طه علي حسين دليمي،سعاد عبد الكريم الوائلى،اللغة العربية مناهجها وطرق تدريسها، دار الشروق للنشر والتوزيع،(د م ن) ، ط1 ،2005م ،ص 101

[2] – أحمد محمد عبد الخالق ، مبادئ التعلم ، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية ،ط2، 2001م ، 182

الفصل الثاني

الفصل الثاني: زيارة ميدانية لحلق النحو بزاوية ابن الكبير.

المبحث الأول : واقع الطالب مع النحو العربي بزاوية ابن الكبير.

1- قراءةُ الاستبيان وظروف إجرائه :

إنَّ النَّحو عند الناشئة العرب بصفةٍ عامةٍ ،لا تختلف النظرة إليه عندهم ، بما فيهم طلاَّب الزوايا .فهم يعانون من مشكلة تعلُّمه، وما يزيد الأمرَ حدةً حينما يكونُ الطالبُ ملزمٌ بحفظ كتاب الله وتجويده على أحسن وجه،إذ التجويد يقتضي علم النَّحو. فهوَ وسيلة مساعدةٌ لهم في ذلك ، كيفَ لا والقرآن الكريم إضافةً إلى اللُّغة بجميع مستوياتها يضمان ويعتبران الوعاء الحضاريّ والفكريّ للأمة العربية. وحينما أدركَ المشائخُ خطورةَ علمَ النَّحو صبُّوا جهودَهم على تعليميته للطلبة بطرقٍ مشهورة إنْ لم نقل متوارثة ، حتَّى أصبحت تلك الطرق صفة جامعة تقريباً لكلّ الزوايا . وتعدُّ صعوباتُ تعلم النَّحو لمن القضايا التي أسهم فيها العلماء باحثين لها عن حلول ناجعةٍ ومريحةٍ.وضمن هذا الموضوع حاولنا الكشف عن هاته الصعوبات ، وعن الأسباب المنوطة بها . بالبحث الميداني المتمثل في التقرب من طلبة زاوية الشيخ محمد ابن الكبير والمعلمين فيها ، واضعاً بين أيديهم استبياناً أحاول من خلاله توضيح مكمن تلك الصعوباتِ . وقد أخذت ثلاثةً وستين طالباً وأربعةً من المعلمين كعينة .

توجّهت إلى زاوية الشيخ محمد ابن الكبير يوم الأربعاء الموافق لـ 2014/04/23 ، لأجل أخذ الرخصة بتوزيع الاستبيانات الخاصة بمذكرة التخرج، فملئت ثلاثةَ أرباعٍ منها على الطلبة ، والربع المتبقي ترك حتى يوم السبت الموافق لـ2014/04/26 . استفدت حقيقةً من التّرحاب الكبير والتجاوب من طرف المعلمين والطلبة خاصة وأنَّني أبحث عن عالم جليلٍ مثل الشيخ العالم محمد ابن الكبير .

في أوَّل الأمر كان الاستبيان يحتوي ثلاثة عشر سؤالاً ، عن كل الأمور التي أحتاجها . لكنني اختصرته بسبب الزيارات التي كنت أقوم بها قبل توزيعيَ الاستبيان . وأبقيته على سبعِ أسئلة قصدتُّ من خلالها الوصول إلى الأمور التي لم استطيعها من تلك الزيارات .مثل الرؤية الشخصية لكل طالب عن مادة النَّحو ، وهل يبذلون جهداً في تعلمه؟. وهل المتون المدرسة لهم مناسبة من الناحيةِ العلميةِ والنفسيةِ ؟

أما الاستبيانُ الموجه للمعلمين فتمحور حول رؤيتهم لمستوى الطلبة ، وهل الوسائل التعليمية كافية لأداءِ العملية التعليمية ؟.. وختمته بكيف يرون أنَّ وجود مستويين لغويين عاميّ وفصيح يؤثر على اكتساب النّحو وتعلمه؟ . استعنتُ كذلك بلقاءاتٍ مباشرة مع المعلمين في الزاوية وغير الزاوية ، خاصةً أثناء تنقلي كزيارات ميدانية للمدرسة الأحمدية التيجانية بأوقروت ومدرسة لعياد ببلدية تسابيت للأخذ أوجه الشبه والاختلاف .

لابدَّ أنْ نشير إلى أنَّ مستويات الطلبة في الزاوية مختلفة ، خاصة إذا علمنا أنَّهم قادمون من عدة ولايات . فمنهم من لم يلتحق بمقاعد الدراسة إطلاقاً وأغلبيتهم صغار السن لا يتعدون 16 سنة ، ومنهم من مستواه ابتدائي ، ومنهم الثانوي والمتوسط ، أما الجامعي فقليل جداً . وقد قيل لي أنَّهم يلتحقون بالزاوية لكن يغادرونها مع مجرد حفظهم للقرآن .

– تحليل ومناقشة الاستبيانات :

نظراً للعدد الكبير من الاستبيانات التي جمعتها وعدم إمكانية قراءتها متفرقة لوجهات النظر المتحدة فيها من جهة ،والمختلفة من جهة أخرى ، عمدت إلى تلخيصها في جدولٍ ووضعت لكل سؤال باختياراته نسبةً مئوية لتسهيل عملية المناقشة والاستنتاج . كل ذلك في الجدول أدناه :

السؤال	المعطيات	عدد الإجابات	النسبة المئوية
-كيف ترون مقياس النحو ؟	– صعب -سهل – متوسط	18 12 33	%28.57 %19.04 %52.38
-إذا أجبت بصعب إلى ماذا ترجع الصعوبة ؟	– طريقة التدريس -المادة النحوية -أشياء أخرى	11 05 02	%61.11 %27.77 %11.11
هل تفهمون طريقة الشيخ ؟	-نعم – لا	54 09	%85.71 %14.28
-هل المتون مناسبة لكم ؟	-نعم – لا	65 07	%88.88 %11.11
-هل تستعملون الفصحى خارج القسم؟	-نعم – لا	14 49	%22.22 %77.77
– هل تبذل جهداً في تعلمه ؟	-نعم – لا	53 10	%84.12 %15.87

لقد انطلقت لقراءة الجدول من فرضية أنَّ النَّحو العربي صعبٌ ، وبعد إعطاء النسب المئوية لكل إجابة اتضح جلياً ما يلي :

* بالنسبة للسؤال الأول :

– أجاب 33طلبة من مجموع 63 طالباً على أنَّ النحو العربي متوسط ، أي بنسبة 52.38%

– أجاب 12 طالباً من مجموع 63 طالباً على أنَّ النحو العربي سهل ، أي بنسبة 19.04 %

– أجاب 18 طالباً من مجموع 63 طالباً على أنَّ النحو العربي صعبٌ ، أي بنسبة 28.57%

نلاحظ في هذا السؤال أنَّ الأغلبيةَ أجابت بسهولة النحو ، وهذا شيء طبيعي لا لشيء إلاَّ لأنَّ اللغة العربية بشكل عام ، والنَّحو بشكل خاص له التصاقٌ روحيٌ مع النفس البشرية تألفه . وأنَّ الصعوبة التي نجدها فيه راجعة بحدٍ كبيرٍ إلى النفسية الإنسانية ،وإلى الأساليب الفلسفية والمنطقية التي يعتمدها المدرسون في إيصال روح

ذلك العلم . والغلط لم يبدأ منهم وإنَّما بدأ من أسلافنا وعلمائنا الذين بالغوا في المسائل النحوية شبه الفلسفية كالتقديم والتأخير ، الحذف والإثبات ، مسألة العامل ، التقدير الإعرابي ....

إذا جمعنا عدد الطلبة الذين أجابوا على أنَّه متوسط والذين أجابوا بسهولته نجدهم 45 طالباً من 63 ، يعني هذا ورود إمكانية التحسن في النَّحو ،وأنَّ نظرتهم إليه متفائلة. ومن المؤكد أنَّ السهولة ليست هي الميزة التي نبحث عنها في لغة اختارها الله لتكون لغة العالمين ، فالسهولة – على حسب رأيّ- هي الدقة في التعبير، ثم المرونة الإعجازية في تغطية الامتدادين الزمني والمكاني في كل عصر .نعم إنَّ الفرصة أمام طلاَّب الزوايا عامة لسانحة لامتلاك الذوق اللغوي الرصين ، انطلاقاً من التعامل اليومي وفي كل وقت مع أعظم وأبلغ كتاب في الأرض. قال الله تعالى :{ ألر تلك ءآيات الكتاب المبين ،إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون . }[1]

وقال :{ حَم والْكتابِ المبين، إنَّا جعلناهُ قرءاناً عربياً لعلَّكم تعقلون، وإنَّه في أمِّ الكتاب لدينا لعليٌّ حكيم. }[4]

* بالنسبة للسؤال الثاني : نأخذ في هذا السؤال 18 طالباً فقط ،وهم الذين أجابوا على أنَّ النحو صعب ، وعند استفسارهم وجدنا :

- أجاب 11 طالباً من مجموع 18 طالباً على أن الصعوبة ترجع لطريقة التدريس . أي بنسبة 61.11%
- أجاب 05 طلبة من مجموع 18 طالباً على أن الصعوبة ترجع إلى مادة النحو . أي بنسبة 27.77%
- أجاب طالبان من مجموع 18طالباً بأشياء أخرى تعود في شخصية الطلبة .أي بنسبة 11.11%

يجب النظر بعين الاعتبار للطريقة التي يدرس بها النَّحو ، والحقيقةُ عند استفسار الطلبة لاحظت ، أنَّ المشكلةَ ليست في الطريقة بحد ذاتها . وإنَّما في المنهج الذي يوضع به أوفيه المتن النحوي ،سواءً من حيث زمن الحلقة أو وقتها ، أو طريقة الشيخ بالأساس . والصعوبة في أيّ لغة ما لم يوجد مقياسها – أظن – بعد إذ تتداخل في تكوين هذه الصّعوبة عواملٌ عديدةٌ يصعبُ الإمساك بها وتسريح خيوطها. إنَّ الواقع يفرض عدم إمكانية تبديل الطريقة التي يدرس بها النَّحو ، وهي الطريقة التقليدية التي تعتمد على إعطاء القاعدة،ثم تشرح بعد ذلك مع التوضيح الخفيف من الأمثلة المؤلفة من الطلبة أو من الشيخ . وهي الطريق نفسها التي كانت معتمدة في المدارس الحكومية النظامية ، حتى وإنْ كانت متوازنة مع مقياس النحو العربي –خاصة إذا كان هناك تطبيق فعلي وجاد لتلك القواعد- فلها أضرار جسيمة على الطُّلاب حيث ومع مرور الوقت لا يستطيعون استنتاج وتخطي بعض المشكلات إنْ صادفتهم نصوصٌ أكاديمية لم يألفوا نظامها .

---

[1]–سورة يوسف ، الآية 2،1

[4]- سورة الزخرف ، الآية 2،1

صحيحٌ أنَّ النَّحو العربي شبحٌ كاسر في نظر المتعلمين سواءً في الزوايا ،أو حتى المدارس والثانويات ، فتجد الطفل – على حسب تجربتي في التعليم الابتدائي- يخلط خلطاً بين أسماءَ الإشارة، فما هو للمذكر ينسبه للمؤنث ، وما قيد للمؤنث ينسبه للمثنى ....

إنَّ للأفكار الشخصيةِ الباطنية لكل واحد من الطلبة دورٌ أساس في التعلم ، ومع محاورتي للكثير منهم على عدم الانتباه لتعلم النَّحو اكتشفت بأنَّ خوف الطلبة ، لعلة أنْ يغلبهم على القرآن الكريم وحفظه، فهو الهدف الكبير الذي جاء له. لكن لماذا لا يقسم اليوم في الزّاوية إلى أقساطٍ لمختلف العلومِ المساعدة في إتقان القرآن الكريم، خاصةً إذا كان الطلبةُ قد استعرضوه للمرة الأولى (ختموه) ، وهذه نقطةٌ هامةٌ استفدتها من بعض المعلمين ، فحفظ القرآن مع عدم المعرفة للأبواب الضرورية في العربية ينتج صعوبة في فهمه .

* بالنسبة للسؤال الثالث : تمحور هذا السؤال حول طريقة الشيخ ،المقصود بها كل ما يتعلق بشخصه المساعد لتوضيح وتوصيل الفكرة، حيث وجدنا من خلاله :

- أجاب 54 طالباً من مجموع 63 بنعم أي بنسبة 85.71 %
- أجاب 09 طلبة من مجموع 63 طالباً بلا أي بنسبة 14.28%

إذا كانت إجابة الأغلبية المطلقة بأنَّ طريقة الشيخ مفهومة ،فهناك معنىً إيجابياً مفاده إمكانية كسر الحواجز المصطنعة ، والعوائق لتعلم النحو .

إنَّ إجابات الطلبة هنا واقعية إلى حد كبير بسبب أنَّ الأغلبية في السؤال الأول أجابت بسهولة النّحو أو هو متوسط ، فمن الضروريّ والمنطقي أنَّهم يفهمون طريقة الشيخ .لكن مادام أنَّها مفهومةٌ وأنَّ النّحو لديهم متوسطُ الصعوبةِ ، لماذا تلك الإختلالاتُ اللُّغوية التركيبية التي تسمعها في الدروس المسائية بعد صلاة المغرب؟ ، هل نحن نفهم القواعدَ ولا نستطيع السّير على نهجِها ؟ لماذا الاستعمال العاميُّ قد صبَّ على رؤوسنا كلماتٍ لا تتصلُّ باللُّغة العربية بأيّ نسبٍ من أنسابها ولا بطن من بطونها؟ . لا نستطيع أنْ ننقد الشيوخ إلى حدٍّ يبرزهم وكأنَّهم همُ السببُ الرّئيس لتأخر التّعليم ، في بقعة تتعامل مع اللُّغة العربية أكثر من أيّ مؤسسة نظاميةٍ أخرى. إنَّ النَّحو ليس كمثل صعوبة الرياضيات ، الفيزياء والفلسفة، بل هو معرفةٌ لها نظامها وقوانينُها إضافةٍ إلى خصائصها ، فلماذا نيطت الصعوبةُ بالنّحو وتُنودي بها ،في حين رانَ الصَّمت على الموادِ الدّراسية الأخرى ؟ وأنا أرى أنَّنا نحن العرب المسؤولون عن أزمة تعليم النَّحو لأسباب ألخصها في :

- الحفاظُ التّام على هيكل النَّحو العربيّ بتقسيماته المنطقية الموروثة ،دون التَّصرف فيه عند تقديمه مراعاة للفروق الفردية ، وللمتطلبات الآنية .
- شبه الانقطاع إنْ لم نقل تمامه بين إطارات الزوايا ، والهيئات التدريسية بالجامعات .

* بالنسبة للسؤال الرابع :

- أجاب 56 طالباً من مجموع 63 طالباً بنعم أي بنسبة 88.88 %
- أجاب 07 طلبة من مجموع 63 طالباً بلا أي بنسبة 11.11%

ما يمكن ملاحظته في إجابات الطَّلبة بعد المناقشة معهم .أنَّ هذه الإجابات أكثرها في الأبواب الأولى من متن الآجرومية أو الألفية ، لكن في الغالب العام هما متنان مناسبان لمستوى الطلبة،إذا رافق العمليةَ التعليميةَ حوارٌ وشرحٌ وتركيزٌ . دون أنْ ننسى أنَّ الآجرومية والألفية بهما كثرة من القواعد المفروضة على الطالب ، حيث يشعر بأنَّ حفظها يتطلب منه جهداً وإنْ حفظها فإنَّ مصيرها النسيان .

إنَّ هذين المتنين يحتاجان في حقيقة الأمر إل تنبهٍ عاليّ ،فالفهم الذي استخلصناه منهما أنَّ النَّحو العربي هو محاولاتٌ وقواعد في فنون اللُّغة استماعاً وتحدثاً ، من ثمَّ انعكس هذا الفهم التَّقليدي على تطبيقاتنا ودراساتنا ،إذ تناولناه من منظار ضيقٍ لا يقيم للنَّحو قدراً... لكن هل من بديلٍ يملئ مكانَ الآجرومية وهو المتن الذي ألفناه صغاراً ؟، وهل من بديلٍ من الألفية الذي كان الأساتذة المشارقة يعتمدونه كمقرر لايحيدون عنه البتةَ ، حينما اعتمدت عليهم الجزائر في تدريس أبنائها؟. هل دعواتُ التيسير الحديثةُ والمعاصرةُ تقصدُ أنَّها ستضع هذا البديلَ. أم أنَّه صياحٌ في صنجٍ مثقوبِ الأوَّلِ والآخرِ ؟.

صحيحٌ أنَّ النّحاة القدماءَ قد أحسُّوا بالعبءِ الذي حمَّلوا أنفسهم عليه، وأرادوا أنْ يحمِلوا النّاس عليه، فوجدوا الإعراض والنُّفور عن تلك البضاعة . فتنبهوا إلى ضرورةِ التيسير على المتعلمين الناشئين . وليتركوا تلك التّشعبات للمتخصصين الأكاديميين . والظاهرةُ الخطيرة هيَ أنَّ الطالب في الزَّاوية ، والتلميذُ في المدرسة قد يمضي في قراءةِ المتن أو الكتابِ المدرسيّ إلى أبعدِ الحدود ، فينهيه وهو لا يستطيع أنْ يكتب نصّاً راقياً. فالمشكلة إذا تتمثلُ في عدم تعميمِ المفهوم الوَاسع للنَّحو ، واستغلاله في كل ما نراه سبباً لدفع اللغة العربية للأمام. وبقينا في مشكلة التَّعددية الثقافية التي فرضها علينا الاستعمارُ. في حين أنَّ اللُّغةَ مطالبةٌ بأنْ ترضي الأذواقَ والوجهاتِ المختلفةِ .

*بالنسبة الخامس : يتعلق السؤال بالممارسة اللغوية .

- أجاب 14 طالباً من مجموع 63 طالباً بنعم أي بنسبة 22.22 %
- أجاب 49 طالباً من مجموع 63 طالباً بلا أي بنسبة 77.77 %

كان من المتوقع جداً إنْ لم أقل المتأكدُّ من حصوله وقوع الإجابات بلا هي الأغلبيةُ وهذه النظرةُ ليست تشاؤمية أكثر منها لغرض البناء .

إنَّ الحفاظَ على القواعد المتعلمة لمن الصعب حصوله الآن، بسبب طغيان العاميّة على الفصحى في الأوساط غير العلمية ، وهذا – على حسب رأي- من التغيرات الطبيعية للأمم أومن باب سد الفراغات. لكن حتَّى لو كان هذا واقعٌ نستطيع أنْ نردَّ للعربية مكانتَها في تلك الأوساط غيرِ العلمية . أنَّا أظنُّ أنَّ الهروبَ من العربية لا يفيد الأمَّة مثقالَ حبةٍ من خردلٍ . يجب على المتعلمين أنْ يحاولوا جهد إمكانياتِهم استعمالَها خارج الوسطِ العلميّ أو المؤسسة التعليميةِ ، مستفيدين من تلك القواعد النَّحوية .

لابدَّ أنْ نعرف أنَّه وعبر الامتدادِ الزمنيّ لهاته اللُّغة ، وعلى شريط التشكل الدلالي لها قد قامت دعواتٌ تنادي بالعامية مكان الفصحَى، على أساسِ قدمِها وعدمِ صلاحيتها ،ولا أحدٌ هو قادرٌ على استرجاع مكانتها ، وتلك الدعواتُ نابعةٌ إمَّا من أطرافٍ خارجيةٍ انطلاقاً من حقدِها على التَّمسك الرُّوحي بالقرآن الكريم،أو من أبناء جلدتنا لأنَّهم تأثروا وغذُّوا بتلك الثقافات السَّطحية التي لا تخدمُ نفسها فكيف لها أنْ تخدم غيرها .

والطلبةُ لهم نظرةٌ صحيحةٌ وواقعيةٌ في أنَّهم لا يستعملون الفصحى إلاَّ في الزّاوية ، إذِ المشكلةُ لمْ ولنْ تقتصرَ عليهم، فانظر إلى الجامعاتِ والثانوياتِ علَّك تجدِ اللُّغةَ خارجَ أسوارِها...

لا يمكن لأحدٍ منَّا تحميلَ المتعلمين كيفَما كانَ انتمائهم ومستواهم جريرةَ التَّخلي عن النَّحو العربيّ ، فالمشكلةُ هي افتقارُنا لأيادٍ سابغةٍ نضعُها مكانَ الجرحِ لنرى النزيفَ يقف ،والآهاتُ ضحكاتٍ . لقد ابتعدنا عن اللُّغة ولو بغيرِ نيَّة منَّا ،فتحقَّق فينا قولُ الشاعر "المتنبّي" عنْد ندمِهِ على فراقِ أحد الأمراء وقدْ كان في نعمة عنده :

فَارَقْتُكُمْ فإذَا مَا كَانَ عندَكُمُ قَبلَ الفِرَاقِ أَذَىً ،بَعْدَ الْفِرَاقِ يَدُ

* بالنسبة للسؤال السادس : يبين السؤال مدى استعداد الطلبة لقبول التعلم، وتخطي الصعوبات على حسب رؤيتهم الخاصة . وهل يبذلون جهداً في تعلمه؟

- أجاب 53 طالباً من مجموع 63 طالباً بنعم أي بنسبة 84.12 %
- أجاب 10 طلبة من مجموع 63 طالباً بلا أي بنسبة 15.87 %

إنَّ نسبة 84.12 % المتمثلة في "نعم" لمؤشرٌ يدلّ علي قابلية التّعلم لولا معوقاتٌ وصعوبات ، حتى أنَّ الطلبة الذين أجابوا "بلا" ومع استفسارهم تجد لهم إجابة مخالفة .

لقد أصبحت قديمة جداً تلك النظرةُ المتخلفةُ التي تعتبرُ اللُّغةَ مجردَ أداةٍ للقول، أو وسيلةٍ للتعبير والتظاهر الشخصيّ ، وكثيراً ما تساءلتُ هل اللُّغة العربية حقاً من أصعب اللُّغات ،كما يتردّد على ألسنة الغربيّين؟ هل هي صعوبةٌ توهمناها في أنفسنا أم أُريد لنا أنْ نتوهمها ؟

حقيقة أنَّ الطُّلاب في زاوية الشيخ يفهمون المادة النَّحوية المعطاة لهم ، لكن وكمَا وضع الكثيرُ منهم في الاستفسار أنَّ تلك القواعد التي تعلَّموها في النّحو تنسى مقارنة مع التخريجات والشروح الفقهية ، فهي تبقى في رؤوسهم ، ولا يدخل إليها النّسيان بسبب أنَّ الفقهَ حيويٌّ يحتاجه الطَّالب في كلّ معاملاته اليومية.

والحلُّ الذي أراه صالحاً لاستيعاب واستغراق مادة النَّحو العربيّ هو القرآن الكريم ...كيف ؟ لم تخرج الدراسات والمناظرات البلاغية إلاَّ انطلاقاً من نقطةِ اختلافٍ دارت بين العلماء أمثال الباقلاني ، عبد القاهر الجرجاني ، السّكاكي .... هي أين يكمنُ سرَّ الإعجاز القرآنيّ ؟ هل في نظمه ؟ في إخباره عن الغيب ؟ في عدمِ استطاعةِ البشر الإتيانَ بمثله لقوله تعالى :{.. قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِه }[1] ؟. فجاءوا بتراثٍ بلاغيٍّ هام .له خلفيتُه الفكريةُ الرَّاسخة في العلم . فنحن عندما ندرس القرآن الكريم لماذا لا نقرأه إلاَّ متدبّرين غائصين في أغواره ، لأنَّ ذلك التَّدبر يقومُ على أمورٍ عدةٍ منها اللُّغة العربية والنَّحو العربي.

إنَّ بذل الجهد للوصول لغاياتٍ مجهولةٍ ،غير محددةِ الأهداف مسبقاً ،خاصة في العملية العلمية التعلمية في النَّحو، يبقي الأمور على حالها إنْ لم تتراجع نتائجُها إلى الأسوء .

* بالنسبة للسؤال السابع :

---

[1]- سورة يونس الآية 38

الظاهر أنَّ بعض الطلبة لم يتوصلوا إلى القصد من السؤال ، الذي كنتُ أشير من خلاله إلى دور البيئة اللُّغوية التي تختلط فيها العامية بالفصحى،وهل يستطيع المتعلم أنْ يكتسب فيها النَّحو أم لا. والكثير منهم أجمع أنَّ العامية لا تساعد إطلاقاً على التَّعلم . لكن يبقى السؤالُ المطروحُ كيف احتفظنا على مقوماتنا اللُّغوية في ظلِ لغويٍّ هجين ؟

إنَّ الخطَرَ – وكما أشرت من ذي قبل –يأتي للُّغة العربيةِ من أقرب الأشياءِ إليها ، من العامية . حين تختلط الأمور فينعدم التفريقُ بين الفصيحِ وضدّه. واللُّغة العربيةُ قد انتشرت في الوقت الرّاهن انتشاراً واسعاً مسَّ جميع الميادين والحقولِ ، لكن جرى هذا الاتساع في كثير من الأحيان على حساب مقوماتِ شخصيتِها . فبدت للملاحظ أنَّها لغة عربيةٌ في حروفِها ، وفي بعضِ ألفاظها بينَما في بعضِ استعمالاتِها وتركيباتِها اتَّسمت بالانحرافِ عن الدّلالات المعنويةِ ، الأمر الذي أخرجها من اللُّغة الواحدةِ إلى لهجاتٍ متعددةٍ ..لكنِ العامية قد تؤدّي دوراً ولو محدوداً من النَّاحية الاتصالية ؟... نعم فقد تؤدي هذا الدورَ الخاصَ بالفهمِ في حدودِ المنطقةِ التي تلهج بها ، غير انَّه يتقلص هذا الدورُ كلَّما ابتعدنا عن موطن اللَّهجة ،إذ حتَّى محاولاتُ فهمِها تظلُّ صعبةَ المنالِ . وفي رأيّ أنَّ العاميةَ في الحياة واقعٌ لا يمكنُ نكرانُه أو القفزُ عليه فهي في جميع الحالات تمثل نصيباً من شخصيتِنا بسلبياتها وإيجابياتِها ، ومع ذلك ينبَغي لنا أنْ نؤكد حقيقةً هامةً هي أنَّ العاميةَ لا يمكن اعتبارها رافداً يغني العربية ، بل قد تشوه صورتها.

حقيقة لقد أجمع المشائخ بأنَّ وجودَ مستويين لغويين يؤثر سلباً على تعلم النَّحو ، خاصةً إذا كان هناك بعدٌ وانزلاقٌ غير إراديٍ عن اللغة الأم . ولن تُكتسبَ اللغةُ وتُفهمَ إلا بوجود حمامٍ لغويٍّ يدعّمها أو على الأقل يهتمُّ بها . إنَّ انعدامَ الممارسةِ اللغويةِ يجعلُ اللُّغةَ قوالبَ مسكوكةً لا فائدةَ من ورائها . وعليه فإنَّه ومن خلال الاستبيانِ تبين أنَّ نفور الطُّلاب راجعٌ إلى أسبابٍ لها تراكُماتُها الزَّمكانية ، من الطَّالب المتعلم الذي عليه أنْ يضاعفَ الجهدَ قدر الإمكانِ ، المنهجِ الذي من المفروض أنْ يُوضعَ بالتَّعاون مع هيئات التَّدريس الجامعية ، الطريقةِ المتبعةِ ووجوبِ اعتمادِها على ملاحظةِ الفروقِ الفرديةِ، والبيئةِ اللُّغويةِ المحيطةِ بالمتعلمِ الواجب عدم اعتمادُها على اللَّهجة العاميةِ كلُّغة رسميةٍ تعليمية .

بعد هذه التحليلات كلّها لا يمكن أنْ نتشاءم على مستقبل النَّحو ، الباب الأول للُّغة العربية الذي تدخل منه كل الأمور غير المرغوب فيها، سواءً من أبناء جلدتنا المقصّرين،أو من المستشرقين الذين قادوا حملات شنيعة لتدمير الإرثِ الحضاريّ العلميّ للعرب، المتمثل في القرآن الكريم انطلاقاً من اللُّغة العربية. والواقع الذي يعيشهُ الطَّالب اليوم مع النَّحو في زاوية الشيخ محمد ابن الكبير رحمه الله نجمله في :

1-الرؤيةُ الشَّخصيةُ للطَّالب في الزّاوية نعتبرها متوسطةً أو فوق المتوسطةِ،لأنَّ الطَّالب حقيقةً لا يستطيعُ أنْ يهربَ عن النَّحو العربيّ فهو مطالبٌ به في كلِّ وقتٍ وفي كل ممارساتِه ونشاطاتِه التعلمية . ابتداءً من تمرُّسه على القرآنِ الكريمِ ومُروراً بالمتونِ والأذكارِ الجماعيةِ .

2- التصورُّ العامُّ على علم النَّحو في الزَّاوية تصورٌ واقعيٌ علميٌ . مفادُه تعلمُ الوقوفِ على أواخرِ الكلمِ بعلامات إعرابيةٍ صحيحة . موافقةً للتركيب والدلالة . وهي النَّظرة الصحيحةُ التي أقامها جلُّ العلماء أمثال :الجرجاني في

كتابه "دلائل الإعجاز" ، والإمام الباقلاني في كتابه "إعجاز القرآن" الذي وضَعَهِ للردّ على المعتزلةِ القائلين بأنَّ سرَّ إعجاز القرآن هو أنَّ الله صرَفَ العبادَ على أنْ يأتوا بمثله. وحتَّى القدامى والمحدثين المنظّرين للتيسير لم يختصروا أو يحذفوا جزءً من هذا التَّصور.

3- ينبَني تعلمُّ النَحو وقواعدِه في زاويةِ الشيخ محمد ابن الكبير على المتون النَّحوية ، الآجرومية وألفية ابن مالك ، لأنَّها تلائم مستوى ونفسية الطلبة إلى حد كبير.

4- طريقةُ الإلقاءِ المتبعة في إيصال وإعطاء القواعد النَّحوية والصَّرفية لا تشكّل عائقاً ، بل لها الأثرُ الكبيرُ في اندماجِ الطَّالب في العملية التَّعليمية انطلاقاً من هيبة الشيخ المعلم . والطريقةُ الأصل المتبناةُ في النَّحو هي أنْ يعرضَ الشيخُ القاعدةَ النَّحويةَ من المتنِ ،ثم يستشهد بالأمثلة الخفيفةِ سواءً مبثوثةً في المتنِ أو من إنشائِه . وهي الطريقةُ القياسيةُ التي فصلَّها الأكاديميون المهتمون بمناهجِ التدريس.

5- قليلةٌ هي الممارسةُ اللُّغويةُ خارج أوقاتِ الدراسةِ . وهي تؤثّر على الطَّلبة ،والدليلُ، القصور في فهم وتركيب الأساليبِ غير المباشريةِ . خاصة أحاديثَ الرَّسول صلّى الله عليه وسلم .

6-النُّفورُ الملاحظ من النَّحو العربيّ راجعٌ سببهُ إلى شيئين ، الثاني منهما عاملٌ أكثر من الأول :

- ✓ -البعدُ عن التّطبيق النَّحوي وإعطاءِ القواعدِ شبهِ جامدةٍ . إذ يَعتمدُ الشيخ في كثيرٍ من الأحيانِ على الأمثلة الواردةِ في المتنِ دون التطلعِ إلى أمثلة من الواقع .
- ✓ - الانشغالُ بحفظ القرآن ، وتقديمُه على أيّ شيء آخر ، وتلك نظرةٌ واقعيةٌ ، خاصةً عند الذين لم يتمُّوا ختمَ أو حفظَ القرآن .

7- هناك اهتمامٌ ملحوظ بحفظ واسترجاع المتون المقررة بما فيها النحوية . فطلبة المرحلة الفقهية يستطيعون كتابة تلك المتون في ألواحهم ، فتكتب فيها وقفة من مختصر خليل ، ووقفة من الرسالة مثلاً ،وتعرض تلك الوقفات كما القرآن الكريم . وهذه الطريقة تتّبعها الكثيرُ من الزوايا على طول الإقليم التواتي.

إنّ تعليمية النّحو وصعوبة تعلُّمه أو تعليمه ،لا تنحصر الآن بالنّواحي اللُّغوية الشائكة كالندبة والتنازع في العمل ، بل إنَّ طلاب الزاوية يتلقون مشكلةً في الجملة الفعلية إذا استتر فاعلُها ، والاسميةِ إذا حُذف خبرها أو مبتدؤها. وعدم ظهور علاماتِ الإعراب على أواخرِ الأسماءِ المقصورةِ والمنقوصةِ . هذه الأمور ومثيلاتها تشكل اليوم فصلاً في قائمة الأغلاط اللُّغوية التي يرتكبها الطلاب . ولو أنَّ الأمر مقتصرٌ على هذه الناحية لهان ولو نسبياً .فهناك أيضاً مسألة التراكيبِ والقدرةِ على التعبيرِ والإلقاءِ والمناقشةِ .

المبحث الثاني : طريقة تسيير الحلقة النحوية .

لقد سبقت الإشارة إلى أنَّ التعليم الزوايا بشكل عام بسيط في مظهره ، عميق في مضمونه ،وتلك البساطة تعني عدم وجود وسائل تعليمية بيداغوجية كما في المدارس الحكومية . بعد عديد الزيارات والنقاش مع الأستاذ المعلم "

أحمد حفاري "[1]عن التعليم في الزاوية بشكل عام ، وبخصوص الحلقات النَّحوية التعليمية أي التَّصور والخطة الموضوعة قبل بداية العملية التعليمية ،وجدت أموراً لخصتها في الجدول :

المرحلة	النشاطات التعليمية
مرحلة البدء و تصور الأهداف	1- افتتاح الجلسة بالحمد والثناء من قبل الشيخ ، ثم يأذن لهم بالبدء بعد أنْ يسأل ويؤكّد لهم مكان توقفهم ليربط السابق باللاحق . 2- يقرأ الطلبة الوقفة المراد شرحها جماعياً مبتدئين بالتعوذ من الشيطان الرجيم، على طريقة قراءة الحزب الراتب .
مرحلة التعلم .	1- يقرأ أحدُ الطلبة البيت الأول بعلامات الوقف ، وإنْ كان البيت مدوراً يقف قبل الكلمة الأخيرة. 2-يشرح الشيخ البيتَ كلمةً كلمةً ، ويعرب إنْ اضطر لذلك . تستمر العملية هكذا الطالب يقرأ البيت والشيخ يشرحه. 3- توجه الأسئلة خلال شرح الشيخ للمتن ، مع بعض التصويبات التي توجد أثناء قراءة السؤال . 4- يختم الشيخ الجلسة ،بالاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم . ملاحظة : يتم تقويم الطلبة من خلال سؤال الشيخ المباشر عن استيعاب الشرح أم لا.

1- نموذج تطبيقي[1] : في باب المفعول المطلق .

بعد أنْ يتحلّق الطلبة يجلس الشيخ بينهم ، يبدأ الجلسة مفتتحاً " بسم الله الرحمان الرحيم اللّهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ،صلاة تخرجنا بها من ظلمات الوهم وتكرمنا بها بنور الفهم، وتوضح لنا بها ما أشكل

[1]- حدثني بذلك يوم 2014/04/27 ، بمدرسة الشيخ محمد ابن الكبير في القاسم الخاص بطلبة حفظ القرآن الكريم للمتقدمين ، ابتداءً من الساعة 11:03 صباحاً ، وهو من مواليد 1967 بقصر المطارفة بلدية المطارفة . تتلمذ على يد الشيخ محمد ابن الكبير ولازمه حتى أيّامه الأخيرة ، حفظ أجزاءً لا بأس بها من المتون كمختصر خليل ، الرسالة ، ألفية ابن مالك ، يعمل الآن أستاذاً للتعليم القرآني.

[1]- حضرت الجلسة يوم 2014/04/29 حوالي الساعة 10:40 صباحاً، شرح فيها ما بقي من باب التنازع في العمل وانتقل إلى باب المفعول المطلق.

حتى يفهم، إنَّك تعلم ولا نعلم و أنت علاّم الغيوب[2] " ثم يقول "نعم " مشيراً إلى الطلبة بقراءة الأبيات المراد شرحها . يقرأ الطلبة الأبيات [3]جماعياً من السبورة أو من النسخ المتوفرة:

أعوذُ باللهِ من الشيـطانِ ،الرجيمِ بسمِ اللهِ الرحمان (o

" المصدرُ اسمُ ما سِوى الزمانِ منْ ، مدلولِي الفعلِ ،كأمنٍ منْ أمنْ "

" بمثلهِ ،أو فعلٍ، أو وصفٍ نُصبْ ،وكونُه أصْلاً لهذينِ انتخبْ "

" توكيداً أو نوعاً يُبينْ أو عَددْ ،كسرتُ سيرتينِ سيرَ ذِي رشدْ"

" وقدْ ينوبُ عنْهُ ما عليهِ دلْ ،كَجِدّ كُلَّ الجِدِّ وافْرَحِ الجَذَلْ"

– يقول الشيخ " نعم " مشيراً إلى أحد الطلبة الذي يتلو الأبيات مفردةً.

– يقرأ الطالب البيت الأول مراعياً الفاصلة التي هي في الشطر الثاني .

– يقول الشيخ " المصدر هنا مبتدأ واقع في بداية الجملةِ ، والمصدرُ كلُّ كلمة لا تحمل الزمن كيفما كان نوعه ، حاضراً ، ماضياً ، أمراً.." والمعنى في البيت الأول " المصدر هو كل كلمة خارجةٌ عن الزمن " ومثل ذلك ككلمة(أمن) من الفعل أمنَ. والكلام هنا كلُّه يقصد به المفعول المطلق . أي غير المقيد لا بحرف ولا بأي شئ آخر ..... نعم

– يقرأ الطالب البيت الثاني : "بمثله أو فعلٍ أو وصفٍ نصبْ وكونه أصلاً لهذين انتُخب"

– يقول الشيخ:"هنا يتكلم الناظم عن العامل أو الشيء السبب في وقوع المصدر منصوباً

بمثله: المصدرُ أو المفعول المطلق ينصبه أخوه ومثيله ،كقول أحدهم مشيراً إلى احد الطلبة مازحاً "عجبت من أكلِك الطعام أكل الشبعان " فالكلمتان هنا : أكلِك – أكلَ.

أو فعلٍ : ينصب المصدر كذلك بالفعل السابق له ، مثل ضربتك ضرباً ، هجرتك هجراً ...يعلق الشيخ انظروا كيف هما متشابهان ، ضَرَبتكَ – ضرباً / هجرتك هجراً .... حتى في ترتيب الحروف.

أو وصفٍ : يُنصب كذلك المفعول المطلق بالكلمة الواصفة ،...هنا انتبهوا فالوصف يكون للفاعل هنا أو للذي قام بالفعل ،كقولي مثلاً "أنا محبٌّ لك حباً جماً .... هل فهمتم ... "يسأل أحد الطلبة : كيف الوصف ؟

– يقول الشيخ "أيْ الحالة التي هو عليها الإنسان أو الشخص . فعندما قلت "أنا" قلت بعدها محبٌّ ، أي أنَّ حالتي هي محبٌّ .....نعم ." وكونه أصلاً لهذين انتخب " ...هنا تفصيل واختلاف بين النحويين في مسألة من هو الأصل في عملية الاشتقاق،هل هو الفعل أم المصدر؟ لكن نتوقف عند اختيار ابن مالك بأنَّ المصدر هو الأصل في الاشتقاق أي يخرج منه الفعل والفاعل والصفة المشبهة وصيغ المبالغة ....."

– يقول الطالب : " توكيداً أو نوعاً يبين أو عدد" .

2- هي المقدمة التي كان الشيخ محمد ابن الكبير رحمه الله يفتتح بها دروسه ومجالسه ، والكثير من طلبته وتلامذته الذين هم اليوم شيوخ زوايا تبعوا شيخهم في ذلك أمثال الشيخ الصالح أوكادو شيخ المدرسة الأحمدية التيجانية .

3- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ،بهاء الدين عبد الله بن عقيل،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،المكتبة العصري للطباعة والنشر ،صيدا بيروت ،طبعة منقحة 1990م، ص141

– يقول الشيخ :"نعم هنا يتحدث الناظم عن الأشياء التي يجيء من أجلها المفعول المطلق وهي ثلاثُ أشياءَ :

للتوكيد : يكون بتكرار اللفظ مثل نمت نوماً ، سافرت سفراً ، لعبت لعباً.

يبين النوع : يكون فيه المصدر مضافاً مثل : صلّيت صلاة المودع ، جلست جلسة القرفصاء ، ... يتخلل هذا الشرح كله بعض الأسئلة الكثير منها خارج محتوى الحلقة كمباحث حروف الجر، البدل ....

يبين العدد : كقول واحد منكم "هجرتُ هجرتين" – "طلبتُ طلبين".....نعم"

– يقول الطالب :" وقدْ ينوبُ عنْهُ ما عليهِ دلْ ،كَجِدّ كُلَّ الجِدِّ وافْرَحِ الجَذَلْ"

– يقول الشيخ : " ينتقل الناظم إلى شيء آخر في المفعول المطلق نترك شرحه إلى لقاء آخر ، ثم يسأل الطلبة إن كان من يريد السؤال ."

يعيد الطلبة قراءة الأبيات قراءة جماعية بعد هذا الشرح ،إلا إنَّه يحتاج لكثير من التركيز . يختم الشيخ الجلسة بعدها بالاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم " اللّهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق ،والخاتمِ لما سبق ،ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم .وعلى آله حقَّ قدره ومقداره العظيم .سبحان ربّك ربّ العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ."

2– الحلقة النحوية وظروف خطاباتها :

لا تكتمل العمليةُ التعليميةُ في أيّ مجال إلا على توفر قطبيها المعلم والمتعلم . وحتَّى تكون نلك العملية مجديةٌ ونافعة لابدَّ من وجود عنصر الخطاب والتّجاوب بين الطرفين .والتّعليم في زاوية الشيخ ابن الكبير ليس بمنأى عن ذلك العنصر الهام خاصة في تدريس النحو العربي.

إنَّ ما لمسناه في المعاينة الميدانية للزاوية ، أنَّ الشيخَ المكلّف بدروس اللُّغة والنّحو يقوم كثيراً من المرات بدور المحاور ، فلا ينفرد بالكلام بل إنَّه يُعطي حريةَ الحوارِ والمشاركة للطلبة المتعلمين ، سواءً عند فتح باب المناقشة أو أثناء الشرح . وبذلك فإنَّ الشيخ يطّلع بشكل غير مباشر على مدى استحكام تلك المناقشات وجدواها أثناء قراءة القرآن الكريم عليه .وخصوصاً عند الوقوف عند غلطٍ أو لحنٍ ويطالبه بإبرازه وتصحيحه. ، هنا تبرز قدرة المتعلم في التحكم في آلية الخطاب التعليمي[1]. وانطلاقاً من كون الخطاب ينطلق من التأثير الحاصل بين الشيخ والمتعلمين ، فإنَّ التأثير هذا يختلف باختلاف أحوال المتعلمين أنفسهم .وعليه فإنَّ ذلك خاضع لحال المتعلم باعتباره المخصوص الأول والأخير بذلك ، وأنَّ العملية التعليمية تبدأ وتنتهي إليه . فالخطاب في كلّ الأحوال خاضع لما يستدعيه مقام الكلام وحال المخاطب .وقد لقي عنصر التبليغ والخطاب وما يجري مجراهما اهتماماً ملحوظاً من طرف بعض علماء العربية ، أمثال أبو نصر الفارابي (ت 339هـ) حين تكلم على أنَّ التَّعليم يحصل بالتبليغ ، وقسمه قسمين ، تعليم يحصل عن ملكةٍ ، وتعليمٌ يحصل عنه علم [2] ،فالتعليم الذي تحصل عن ملكة فهو تعليم باقتفاء أو بمخاطبةٍ أو ما يقوم مقامها ،ومعنى التَّعليم بالاقتفاء أنْ يرى المتعلم

---

[1]- أحمد حساني،دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر (د ط)،(د ت)، ص42

2- بشير إبرير، مفهوم التبليغ وبعض تجلياته في التراث اللساني العربي ، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، العدد90 ،يونيو 2003 ، ص 14

شيخه ومعلمه بحال فيتشبّه به ويتأثر ،أيْ أنْ حال الشيخ هو المعلم ، يحدث خطاباته ويمارس عملية شرح درسه وهو في تلك الحيوية والنشاط . كلُّ ذلك يحدث أثراً في المتعلم ويجعله محتذياً ، وهذا عاملٌ مهم في عملية تعليمية النحو وغيره من العلوم ، لأنَّه إذا كان الشيخ المعلم يتميز بالحيوية والنشاط ، فإنَّ ذلك كله يظهر في عملية تبليغه لمتعلميه .ولذلك فالخطابُ هو السبب الذي من أجله يورد المتكلم كلامَه على الوجه الذي أورده عليه ،ولا يكون ذلك إلاَّ في الحيز الذي يقتضيه المقام .

03- الوسائل التعليمية الإيضاحية غير الحسية أثناء أداء العملية التعليمية التواصلية .

التّربية والتّعليم من أهم ركائز بناء الأمم والمجتمعات ،بهما تصاغ الكفاءات وعليهما تقام الحضارات وتحقق الأهداف والغايات . فالتّربية والتّعليم لابدَّ لهما من وسائلَ تعليميةٍ أو توضيحيةٍ، وهي كل وسيلة تستخدم لتحسين عملية التَّعليم بتوضيح الأفكار والمعاني .

1- التّمهيدُ والتهيئةُ الذهنيةُ : التّمهيد بوابة ذهنية ، نفسية وعلمية.تجعل المتعلم مستعداً متحفزاً لتلقي المعلومة .

2- الإشارةُ : لا تستخدم إلا توضيحاً للمعنى وتثبيتاً له في الأذهان وذاكرة المتعلمين ، تكون عادةً بالعين أو باليد. فكثيراً ما ترى الشيخ يشيرُ بيده وينطقُ بفمه توضيحاً وزيادة لتقريب المعنى.

3- تغييرُ نبرات الصُّوت : تستعمل من قبل الشيوخ خصيصاً لجلب الانتباه. وتستعمل هذه الوسيلةُ أيضاً في قراءة القرآن بالحزبِ الراتب .

5- الحوارُ : يعدُّ من أبرز أساليب التربية الحديثة التي تتجه إليها الأنظار في العصر الحالي ، فهو وسيلة اتصال فعالة بين الأطراف ،يكتشفون من خلاله ما خفي عليهم بطريق الاستدلال الصحيح.

5- التمثيلُ والتشبيهث : ضربُ الأمثلة واحدٌ من الآليات والأساليب المهمة في التربية والتعليم ، لذلك ينادي العلم الحديثُ بتطبيقهِ في المناهجِ التعليميةِ ذلك لأنَّه يقرّب الصورة من الذهن، ويربط المتعلم بالواقع من خلال القيم المعنويةِ في صورةٍ حسيةٍ ملموسة .

4- القدرة التبليغية التواصلية لدى المعلم :

إنَّ الهدف العام من تدريس النّحو العربيّ بزاوية الشيخ محمد ابن الكبير ، إكسابُ المتعلم قواعدَ اللُّغة العربية ليصلح بها لسانه . لذلك فالشيخ يبذل قصارى الجهود لأجل تبليغ تلك المادة .حسب تكوينه وخبراته ومن حيث طريقته التعليمية يسعى إلى تهيّئة المتعلم لتقبل المعلوماتِ ،بالإضافة إلى ذلك هو يعمل جاهداً من أجل استيفاء الشرح والبيان لما يقدمه من مادة نحوية ، ولا يتسنى ذلك ولا يحصل إلاَّ إذا كان الشيخ على اطّلاع بالعربية وأساليبها المختلفة .أيْ أنْ تكون له ملكة تبليغية يتمكن من خلالها تأدية الواجب " والملكة التبليغية لا تكمنُ فقط في معرفة النّظام النّحوي والصّرفي، بل معرفة قواعد ومعايير التوظيف وقدرة المستمعين في ذلك "[1]

---

1 - بشير إبرير، مفهوم التبليغ وبعض تجلياته في التراث اللساني العربي ، مجلة التراث العربي ، ،مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب ، العدد90 ،يونيو 2003، ، ص 14

إنَّ الملكةَ التبليغيةَ للشيخ المعلم ترتبط أساساً بمدى تجاوب المتعلمين مع طريقته وأسلوبه ، وكذا مدى تمكّنهم مما يقدمه لهم من مواد نحوية وغيرها من جهة ، ومن جهةٍ أخرى بمدى عمق المعرفة العلمية للشيخ. ومعنى ذلك أنْ يكون الشيخ على قدرٍ كبيرٍ من " المعرفة الواسعة المحيطة بعلوم اللّسان العربيّ ،إحاطةً تجعله مالكاً زمام العربية النقلية والعقلية ، حتَّى يتمكن من التصرف والاجتهاد في المادة الأصلية ، وحتى يتمكن من العطاء الكامل والشامل "[2]

وعن واقع خاصية التبليغ من خلال ما استقرأناه في الزيارات الميدانية ، أو من الاستبيانات ، يمكن القول أنَّها بين المتوسطة والجيدة ، ولاشك أنَّها شديدة الارتباط بطريقة الشيخ المتبعة ، وتتجلى أكثر في طريقة عرض الشرح والإحاطة بالموضوع ، هذا وإنَّ الشيخ يستحوذُ على قدرٍ كبيرٍ من المعرفة الدّينية واللُّغوية ، فهو متمكّن من اللّغة إلى حدٍ بعيدٍ . وهذا لا مراء فيه ولاشك ، رغم كون الطريقة المعتمدة في الزاوية وصفها البعض "بالتقليدية " وغيرها من الأوصافِ ، لكنها تشبه الطرق الحديثة . والشيخ عادةً ما يلجأ إلى أسلوب المحاورة، لاكتشاف نتيجة فهم الطلاب وهذا يدلُّ على الحرص لتوصيل المادة العلمية .

والشيخُ على غرار تشبُّعه بالثقافة الدينية الواسعة وملمٌ وعارفٌ بعلوم اللُّغة ، لا بأس له كذلك أنْ ينمّي ملكتَه التبليغية وذلك عن طريق المعرفة الواسعة بالاطلاع والبحث .

5- قراءة في منهج زاوية ابن الكبير لتعليم النحو

لقد أثبت منهج الزوايا في التعليم نجاعته وقوته ،رغمَ بساطته وقلة الوسائل التعليمية المستعملة فيه . إذ تخرج بفضل الطريقة التعليمية المتبعة في الزوايا علماءٌ ورجال أجلاء وظهر منهم من له باع متجدر في العلم الأصيل[1]،ومع هذا فإنَّه لا يمكن لأيّ منهجٍ أنْ يكون كاملاً ، لأنَّه بتغير الزمن تتغير المتطلبات في كل مناحي الحياة . ويعتبر الدكتور أحمد حسين اللقاني أنَّ المناهج التعليمية جزءً لا يتجزأ من نتاجٍ أسفر عنه المجتمع وفلسفته التي يلتزم بها[2] ،وإذا نظرنا إلى منهج زاوية الشيخ ابن الكبير وجدناه منهجاً متوازناً منذ زمن بعيد .محافظا على مقوماته الأساسية رغم وجود الأشياء التي لفتت الانتباه في طريقة التدريس ونوع المتون المدرسة ، ورغم كل ما وصلت إليه نتائج المدرسة إلاَّ أنَّنا يمكن تسجيل بعض الملاحظات مفرعة إلى :

أ)**المتون النحوية المدرسة**: نستطيع أنْ نقول أنَّها قد بلغت مكانة المقررات الدراسية،وحظيت بالعناية الفائقة فهي المفتاحُ الأساسيُّ لأيّ علم . ورغم كل هذا فلقد وُجهت عدة انتقادات إلى المتون المستعملة في التعليم ، إذ عدَّها ابن خلدون من بين الأمور المخلة بالتعليم لأنَّها تقصّر من تحصيل المتعلمين للملكات النافعة ،وإنْ كان

---

[2]- سالم علوي ، وقائع لغوية وأنظار نحوية ، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر (د ط)،(د ت)، ص115

1- نور الدين ين طوبة، رؤية موضوعية حول طرق تدريس العلوم الإسلامية، الملتقى الوطني الثاني طرق التدريس في العلوم الاجتماعية والإسلامية (بين النظرية والتطبيق)، الجامعة الإفريقية أحمد دراية، أدرار ،أفريل2007،ص100

[2]-ينظر أحمد حسين اللقاني،تطوير مناهج التعليم عالم الكتب ، القاهرة ،ط1 ،1995م،ص07

القصد بها تسهيل الحفظ عليهم[3]،ولقد انتقد العديد من الباحثين منهج الزوايا في الجزائر لتعليم النَّحو كونُه لا يخرج من متن الأجرومية والألفية والطالب ملزمٌ بالحفظ منهما دون تطبيق[4]،وهو غيرُ قادر على النقاش والإتيان بالجديد . إنَّ كل هاته الانتقادات وإنْ كان فيها جانب من الصحة من حيث الاعتماد على الحفظ ، إلاَّ أنَّ الحلقات والدروس التي تعقد لشرح المتون هي بطبيعة الحال تكمّل ما يحفظه الطالب ،وما العلماء الذين تخرجوا إلاَّ خيرُ دليل .

ب)**نظام الحلقات** : له فائدة التفاعل بين المعلم والمتعلم ،إلاَّ أنَّ ما يمكن ملاحظته هو :

– توقيت الحلقات لا يكون مناسباً كأخر اليوم مثلاً.

– ارتباط أبواب النّحو العربي وتشبُّكها ، والملتحق الجديد بالحلقة لا يمكنه الفهم نظراً لما فاته.

ج) **طريقة التدريس** :لقد سبقت الإشارة إلى أنَّ الطريقة المتبعة في تعليم النّحو هي طريقة الإلقاء أو الطريقة القياسية الاستنتاجية ،وإنْ كانت تناسب تدريس مادة النحو [1]فإن ما يؤخذ عليها :

– هي طريقة لا تمكّن المعلم من اكتشاف الفروق الفردية للطلبة.

– عدم إعطاء المتعلمين الوقت الكافي لتسجيل ملاحظاتهم.

– لا توفر الوقت والمجال لاستخدام القواعد لكون المتعلم مستمع ومتلقي .

د) **التقييم** :

التقييّم بزاوية الشيخ ابن الكبير لا يخضع لأيّ نظامٍ معينٍ وطريقة محددة ، إلاَّ ما وجدناه في المرحلة القرآنية من خلال اختبار الطلبة في ما يحفظونه من القرآن الكريم ، سواءً على مستوى الأسبوع أو عند تمام حفظ القرآن ، ليتم الانتقال إلى المرحلة الثانية (مرحلة تعلم أصول الدين واللغة).

أما بالنسبة لتقييم اكتساب الطلبة للمعلومات النَّحوية ، فلا يكون هذا إلاَّ من خلالِ عرضهم واستعراضهم لما حفظوه من المتون ، وهذا ليس بالشيء الكافي لتقيّيم مدى فاعليةِ الملكةِ النَّحوية لدى الطلبة ، فالتقيّيم شيءٌ ضروريٌ لكلّ عمليةٍ تعليميةٍ[2]، بل لكلّ نشاطٍ يراد من خلاله تحقيقُ هدفٍ معينٍ .

إنَّ انعدامَ التقيّيم في الزوايا ، وخاصة في المرحلة التعليمية الثانية ، سببه عدمُ وجودِ مراحل تعليمية أخرى ونهائية فالتعليم بها مفتوح .

---

[3]- ينظر عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر ،القاهرة ،بيروت ط1، 2004 ،ص605

[4] - أبو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي ، (د م ن)،ط1 مج1،1998،ص208

[1]- بارا بارا ماتيرو وآخرون، الأساليب الإبداعية في التدريس الجامعي، دار الشروق ، الأردن، ط1، 2002م،ص78

[2]- محمد مقداد وآخرون،قراءة في التقويم التربوي، جمعية الإصلاح الإجتماعي والتربوي ، الجزائر ،ط1،1993م،ص71

الخاتمة

الخاتمة :

إنَّ تعليمية النَّحو ضرورةٌ لابدَّ منها رغم الصعوبات التي تحيط به ، وهذا ما هو مسلمٌ به اليوم على شكل حقيقة ظاهرة ، ولقد بذلت الجهود الكبيرة والشاقة من أجل تعليمه وتذليله . لكن المشكلة اللُّغوية لا تزال قائمة ، ولكنها –كما يجب دائماً أنْ نتفاءل– قابلةٌ للحل ، ولا يمكن أنْ نستنتج أنَّ الحل هو التخلي عن اللُّغة العربية أو إبدالها بالعامية أو الأجنبية ، وأصبح التمسك باللُّغة يعني الحرص على فعاليتها واستمرارها، ووضعها في خدمة الناس والحياة . و أيَّة لغة في العالم – مهما بلغت درجة صعوبتها – ممكنة التَّعلم والإتقان حين توجد الطريقة التربوية الناجعة لتعلمها واكتسابها .

بعد التطلع على منهج زاوية الشيخ محمد ابن الكبير بخصوص تعليم وتدريس النَّحو، وجدت أنَّ منهجها يتقارب مع الكثير من الزوايا التواتية ، إلاَّ أنَّ زاوية ابن الكبير كانت لها سماتها وعلاماتها المميزة لها ، وقد سجلت ولاحظت بعض المآخذ على هذا المنهج :

– الحلقات النحوية رتيبة ، بل هي على حسب توفر الوقت الذي يأخذ الحظ الأوفر منه القرآن الكريم .

– شرح الشيخ للمتون النَّحوية والفقهية يحتاج للكثير من الذكاء ،والانتباه لأنَّ بعض المباحث التي مر عليها لا يضطر إلى إعادتها عادة .

– الاستشهاد بالقرآن الكريم قليل جداً ، ربما الأمر راجعٌ إلى عدم التحضير مسبقاً ، فالشيخ يعتمد على قوة حفظه وبديهيته

– شبه انعدام التقييم في الزاوية ، سوى ما تعلق بحفظ القرآن الكريم .

– انعدام البيئة اللغوية (الحمام اللغوي) المناسب لتطبيق قواعد النحو .

– الابتعاد عن التطبيق النَّحوي ، فالقواعد تدرس لا لأنَّها وسيلة بل لأنَّها غاية .

– كثرة القواعد المفروضة على الطالب ، حيث يشعر الطالب بأنَّ حفظها يتطلب منه مجهوداً كبيراً وإن حفظها فإن مصيرها النسيان .

– هناك بعض الأسباب التي تعود إلى الطلاب أنفسهم حيث الفروق الفردية.

لا تعتبر هذه المآخذ إلا كملاحظات شخصية صائبة تحتمل الخطأ والتصويب ، إضافةً لذلك كله وضعت نقاطاً اعتبرتها كجرعات مركزة علّها تفيد في بتر ورم السرطانات اللُّغوية النَّحوية :

– جعل مادة النحو مادة تطبيقية ، وتبسيطها من الجانبين المنهجي والتنفيذي

– مراعاة مستويات الطلاب ومراحل نموهم اللُّغوي أثناء تدريس الأساليب الصحيحة والتطبيقات عليها.

– ضرورة اختيار الأساليب التي ترتبط بحياة الطالب.

– الحث على استعمال اللُّغة العربية كلغة للتعامل ولو في نطاق الثلثين من الربع.

– ضرورة التدرج في التعليم وإعطاء المادة التدريسية لمتطلبات المرحلة ، هذا نظراً لارتباط أبواب النَّحو بعضها ببعض. والحقيقة أنَّ أبواب النَّحو لا يمكن فصل بعضها عن بعضها ،فلا يتصور إلى الذهن أنْ يدرَّس عطف البيان أو عطف النسق ،دون معرفة أحرف العطف.

– الاعتناء بالقرآن ، تجويده وإتقانه ، فهو مناط النَّحو ومكمنه ، ولا يتم فهمه واستخلاص جواهره إلا بمعرفة حدود كلماته وحدود وقفاته.

– تعميم المفهوم الواسع للنَّحو أصواتاً وبنية وضبطاً للأواخر.

– ضبط الكتب النَّحوية بالشكل نصاً وشرحاً وقاعدة ،تسهيلاً لمهمة المدرسين والناشئة معاً، حتى لا تقع العين إلاَّ على الكلمة الصحيحة فتألفها.

– استحداث أسلوب تقييمي فعال يقوم على أمور واقعية. فاللغة العربية اليوم تبدو من أكثر اللغات حيرة بين الولاء لماضيها الثقافي من جهة، وبين الالتزام بمتطلبات الحضارة الحديثة، والمطلوب من شباب الأمة اليوم وبصفة عامة هو السعيُ إلى توازن لغوي خلاق، بين الولاء للماضي العريق، والالتزام بالحاضر المبشر بالعطاءات الزاهية .ولكن مشكلة المعاصرة والتقليد ليست هي المشكلة الوحيدة التي تواجه اللغة العربية على الصعيد الثقافي ،فهناك مشكلة التعددية في البلاد العربية .

وخلاصة القول هنا أنَّ أساليب تعليم اللُّغة العربية القائمة حالياً، وكذلك الظروف التربوية والاجتماعية لتطبيقها تكاد تؤدي إلى وضع العربية في موضع لغة أجنبية .أليس هناك خطر من أنْ تلتقي هذه الظروف مع الدعوات الحاقدة على اللُّغة العربية ؟ وقد لا تكون المرحلة التي نعيشها الآن مرحلة المحافظة على اللغة لمجرد بقاءها في وجه القوى التي تريد الإطاحة بها ، بل يجب أنْ نرفع صوتنا بشعار واحد موحد : لنخدم لغتنا كما تخدم اللغات الأخرى.

والله الموفق والمعين

ملحق

وزارة التعلـيم العالـي والبحث العلمـي

الجامعـة الإفريقيـة أحمد درايـة– أدرار–

كليــة: الآداب والعلوم الإنسانية

قســم: اللغة العربيةو آدابها

تخصـص: ماستر تعليمية اللغة العربية **السنة الدراسية 2014/2013**

مذكرة تخرج بعنوان : تعليمية النحو بزاوية الشيخ محمد بلكبير

استـــــــــــبيان

إخواني الطلبة في إطار تحضيري لمذكرة تخرج تحت عنوان " تعليمية النحو العربي بزاوية الشيخ ابن الكبير " أضع بين أيديكم أسئلة ، أرجو الإجابة عليها حسب رأيكم الشخصي .

المرحلة التعليمية :.....

الأسئـلة

1–كيف ☐ن مقياس النحو ☐ ؟ – متوس☐ – سهل – صعب

2–إذا أجبت بصعب إلى ماذا ترجع الصعوبة؟ ☐يقة التدريس ☐المادة النحوية

أشياء أخرى:.....

3–هل تفهمون طريقة الشيخ؟ ☐ – نعم ☐ – لا

4–هل المتون المدرسة مناسبة لكم ؟ ☐ – نعم ☐ – لا

5–هل تستعملون الفصحى خ☐الدراسة ؟ ☐نعم – لا

6–هل تبذل جهداً في تعلمه ؟ ☐ ☐م –لا

7– كيف يؤثر وجود العامية والفصحى على اكتساب النحو وتعلمه ؟.....

.....

وزارة التعلـيم العالـي والبحث العلمـي

الجامعـة الإفريقيـة أحمد درايـة– أدرار–

كليــة: الآداب والعلوم الإنسانية

قســم: اللغة العربيةو آدابها

تخصـص: ماستر تعليمية اللغة العربية **السنة الدراسية 2014/2013**

مذكرة تخرج بعنوان : تعليمية النحو بزاوية الشيخ محمد ابن الكبير

استـــــــــبيان

مشائخي الكرام في إطار تحضيري لمذكرة تخرج تحت عنوان " تعليمية النحو العربي بزاوية الشيخ ابن الكبير " أضع بين أيديكم أسئلة ، أرجو الإجابة عليها حسب رأيكم الشخصي .

الأسئـلة

1-كيف ترى مستوى الطلبة في النحو ؟ – ضعيف – متوسط – جيد

-إذا أجبتم بضعيف إلى ماذا يرجع الضعف؟ :.....

.....

2-هل الوسائل التعليمية الإيضاحية كافية لتعليم النحو؟ :.....

.....

3- ما تعليقكم على المتون المستعملة لتعليم النحو ؟.....

.....

4-هل زمن الحلقات كاف لتقديم المادة النحوية ؟.....

.....

5- كيف يؤثر وجود العامية والفصحى على اكتساب النحو وتعلمه ؟.....

فهرسة الموضوعات

فهرس الموضوعات :

- الإهداء
- شكر وتقدير
- مقدمة
- مدخل 04
- الفصل الأول: زاوية الشيخ ابن الكبير ومنهجها في تعليم النحو 12
- المبحث الأول : النظام التعليمي العام بزاوية الشيخ محمد بن الكبير 13
1- الشيخ محمد بن الكبير ، زاويته ونشاتها.....15
2- المراحل التعليمية العامة بالزاوية ، ومقرراتها الدراسية 21
3- طريقة التعليم وطرقي العملية التعليمية 27
- المبحث الثاني : نظام الدرس النحوي بالزاوية 30
1-بين النحو العلمي والنحو التعليمي.....30
2-بين القرآن الكريم والنحو 32
3-المناهج والأساليب التعليمية في تدريس النحو.....33
- الفصل الثاني التطبيقي : دراسة ميدانية لحلق النحو بزاوية بن الكبير 36
- المبحث الأول : واقع الطلبة مع النحو العربي بزاوية بن الكبير 37
1-قراءة الاستبيانات وظروف إجرائها 37
2- تحليل ومناقشة الاستبيانات 38
- المبحث الثاني : طريقة تسيير الحلقة النحوية 48
1- نموذج تطبيقي لحلقة نحوية 49
2- الحلقة النحوية وظروف إجرائها 51
3- الوسائل التعليمية الإيضاحية لأداء العملية التعليمية 52
4-القدرة التبليغية التواصلية لدى المعلم الشيخ.....53
5- قراءة في منهج زاوية بن الكبير لتعليم النحو 54
- خاتمة 56
- ملحق.....60
- قائمة المصادر والمراجع 63
- فهرسة الموضوعات 67

قائمة المصادر والمراجع

-قائمة المصادر والمراجع

01- المصحف الشريف برواية ورش عن الإمام نافع.

02-إبراهيم مصطفى ،إحياء النحو،(ددن). القاهرة (د ت) .

03-إبراهيم خليل،قواعد اللغة العربية للمتقدمين،الأهلية للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1،2001م

04-أحمد وليد جابر ، تدريس اللغة العربية مفاهيم نظرية وتطبيقات عملية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان ،ط1،2002م.

05-أحمد حسن اللقاني ، تطوير مناهج التعليم ، عالم الكتب ، القاهرة ،ط1،1995م،

06- أحمد حساني،دراسات في اللّسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر (دط)، دت) .

07-أحمد محمد عبد الخالق ، مبادئ التعلم، دار المعرفة الجامعية. الأسكندرية ،ط2 ،(د ت).

08- أحمد منير مرسي،التربة الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية،عالم الكتب، القاهرة، (د ط)، 2003.

09- أحمد الطاهر فضلاء ،دعائم النهضة الجزائرية التعليم الديني والإصلاح الديني، دار البعث. قسنطينة ،ط1، 1984م،

10- القاسم ابن علي الحريري المصري،ملحة الإعراب،المكتبة الشعبية،بيروت لبنان (د ط).(د ت)

11-الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط ، دار الثقافة والعلوم ، المنظمة العربية للتربية ،تونس (د ط)،1987م.

12-بارا باراما ماتيرو وآخرون ، الأساليب الإبداعية في التدريس الجامعي، دار الشروق الأردن ،ط1،2002م،

13- بهاء الدين عبد الله بن عقيل ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محيّ الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا بيروت ،طبعة منقحة 1990م .

14-بهاء موسى ، قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي،دار الفكر للنشر،عمان، ط1،1987م

15-أبو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي من 1830م-1954م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998م

- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، دار البصائر، الجزائر طبعة خاصة 2007.

16-حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى دار الفكر العربي، القاهرة (د ط)،(د ت).
17- طه علي حسين الدليمي،سعاد عبد الكريم الوائلي،اللغة العربية مناهجها وطرائق تدريسها، دار الشروق للنشر والتوزيع،(د م ن)، ط1،2005م.
18- ماجد زكي الجلاد ,تدريس التربية الإسلامية الأسس النظرية والأساليب العملية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان الأردن، ط1،2004م.
19- مهدي المخزومي ،في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، لبنان، ط2،1986م.

20-مولاي التهامي غيتاوي،الضوء المستنير في معرفة الشيخ سيدي محمد ابن الكبير، المؤسسة الوطنية للاتصال للنشر والإشهار ،(دط)2002م.
21- محمد باي بن العالم،قبيلة فلان في الماضي والحاضر ومالها من العلم والمعرفة والمآثر، دار هومه، الجزائر، (د ط)،2004م.
22-محمد بن محمد الفتحي المراكشي،شرح ابن عاشر ،المسمى الحبل المتين،(دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.(د ت)(د ط).
23- محمد الطاهر بن التواتي السايحي،شيخنا الإمام كما عرفته، دار الطبع ابن خلدون. (د ط)، (د ت)،
24-محمد مقداد وآخرون ،قراءة في التقوية التربوي، ، جمعية الإصلاح الاجتماعي والتربوي.الجزائر ، ط1،1939م
25- محمد ناصر الدين الألباني،مختصر صحيح الإمام البخاري،المكتبة الإسلامية. بيروت، ط5،1987م.

26- محمد سعيد رمضان البوطي،تجربة التربية الإسلامية في ميزان البحث ، دار الهدى للطباعة والنشر. الجزائر،(د ت).
27- محمد صادق الرافع،الإعجاز القرآني والبلاغة النبوية،دار الكتاب العربي. بيروت، ط9،(د ت)
28-محمد صالح حوتيه،توات والازواد،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.(د م ن)(د ط)،(د ت).
29- سالم علوي، وقائع لغوية وأنظار نحوية،دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.(د ط)،(د ت)
30- سعد بن سعيد جابر الرافعي ،النموذج الإسلامي لتمويل التعليم، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ط1،2005م.

31-عبد الحميد بكري،النبذة في تاريخ توات وأعلامها، مطبعة دار الهدى ، الجزائر ط1،2005م.

32- عبد المجيد قدي ،صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة،(د د ن)(د م ن)،(د ت)

33- عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي،الإتقان في عوم القرآن، دار الكتب العلمية. بيروت ،(دط)، 2002م.

34- عبد الرحمان بن خلدون ،المقدمة،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1،2004م

35- الصديق حاج أحمد ، التاريخ الثقافي لإقليم توات ، مديرية الثقافة ، أدرار ط1،2003 م.

36- شوقي أبو خليل ،الحضارات العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر المعاصر ، بيروت، سوريا (دط)،2002م.

المعاجم اللغوية

- المنجد في اللغة و الأعلام، دار المشرق ، بيروت ط36،1997م.
- محمد ابن أبي بكر الرازي،مختار الصحاح، دار الحديث ، مصر ،(د ط)،(د ت).
- مرتضى السيد،تاج العروس ، دار صادر.(د م ن)(د ت)

المجلات والملتقيات

- أعمال ندوة تيسير النحو ،منشورات المجلس الأعلى للغة العربية. أفريل2001م
- مجلة التراث العربي،مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، العدد 90،يونيو 2003م
- مجلة الآداب والعلوم الإنسانية،مجلة دورية علمية تصدرها كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ،2005م،العدد الخامس.
- الملتقى الوطني الثاني،طرق التدريس في العلوم الاجتماعية و الإنسانية والإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية ،جامعة العيد أحمد دراية، أدرار ،أفريل2007م.
- رسالة المسجد،مجلة محكمة تصدر عن وزارة الشؤون الدينية،أفريل2011 م ،العدد الرابع.
- الملتقى الدولي الأول،المخطوطات في غرب إفريقيا، الجامعة الإفريقية-العقيد أحمد دراية. أدرار،ديسمبر 2013م.